بعض الشبهات المُثارة حول الآيات التي دُكر فيها القتال في القرآن الكريم (عرض ونقد)

إعداد
د / أحمد إمام عبد العزيز عبيد
مدرس التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين بطنطا
جامعة الأزهر

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بعض الشبهات المثارة حول الآيات التي ذُكر فيها القتال في القرآن الكريم، وهي شبهتا انتشار الإسلام بحد السيف، ودعوته للعنف والإرهاب، وقد قام الباحث أولًا بتعريف الشبهات في اللغة والاصطلاح ثم تعريف القتال والفرق بينه وبين الجهاد، ثم قام في الفصل الأول بعرض الشبهتين وذكر بعض الأقوال التي ترمي الإسلام بهما، **ثم قام بالرد عليها من عدة وجوه:**

١ – الرد على هذه الشبهات من خلال القرآن الكريم.

٢ ـ الرد على هذه الشبهات من خلال السنة والسيرة النبوية المطهرة.

٣ ـ الرد على هذه الشبهات ببيان بعض البلاد التي دخل أهلها الإسلام دون قتال.

٤ ـ الرد على هذه الشبهات من خلال بعض شهادات المنصفين من المستشرقين.

أما الفصل الثاني فقد تناول فيه تفسير الآيات التي ذُكر فيها القتال.

وقد قسمها إلى:

١ ـ آيات قرآنية تقيد القتال بحال الدفاع ورد الاعتداء.

٢ ـ آيات تأمر بالقتال بصيغة العموم دون تقييد.

٣ ـ آيات نزلت في أُناس مخصوصة.

٤ ـ آية خاصة بقتال البغاة من المسلمين.

ثم تناول بالحديث بعض الأحاديث النبوية التي ذُكر فيها القتال وأعقب ذلك ببعض الاستنتاج والاستنباط.

وقد توصل الباحث إلى أن هاتين الشبهتين ما هما إلا محض ادعاء لا أساس له من الصحة عند النظر والتدقيق وهذا ما شهد به المنصفون من غير المسلمين.

والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Research Summary

This research deals with some of the suspicions raised about the ayahs in which fighting is mentioned in the Holy Qur,an .They likened the spread of Islam to the sword, and its call for violence and terrorism.

The researcher first defined the suspicions in language and terminology. Then defined the fighting and the difference between it and jihad. Afterwards, he presented in the first chapter these two suspicions.

He mentioned some of the statements that accuse Islam of them, and he then responded to it in several ways:

١ - Responding to these suspicions through the Glorious Quran.

٢ - Responding to these suspicions through the Sunnah and the Prophet's authentic biography.

٣ - Responding to these suspicions by presenting some countries whose people entered Islam without fighting.

٤ - Responding to these suspicions through some of the certificates of fair orientalists.

The second chapter deals with the interpretation of the ayahs in which fighting was mentioned. It has been divided into:

١ - Quranic ayahs restricting the fighting in the case of defense and response.

٢ - Quranic ayahs to order fighting in the form of the general without restriction.

٣ - Quranic ayahs were revealed in specific people.

٤ - A special ayah to fight the aggressors of Muslims.

Then he addressed some of the hadiths of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) in which he mentioned fighting.

This was followed by some conclusions and elaborations. The researcher found that these two suspicions are only a claim that has no basis in view and scrutiny.

This truth is what fair non-Muslims have witnessed.

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, peace and blessings be upon the master of the messengers, our master Muhammad, all his family and companions.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد

فإن هذا هو خامس بحث أَشْرف بتقديمه؛ ليُنشر في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ – جامعة الأزهر الشريف.

أهمية الموضوع وسبب اختياره

تبرز أهمية هذا الموضوع؛ من جهة تعلقه بجانب مهم جدًا، يتمثل في الدفاع عن القرآن الكريم، ضد شبهات أعداء الإسلام، سواء من غير المسلمين أو من بعض من ينتسبون لهذا الدين الحنيف، وهذا الموضوع من الأهمية بمكان؛ حيث أُثيرت الشبهات حوله قديمًا وحديثًا، وكلها نابعة من الحقد الدفين على هذا الدين الذي فتح الله – تعالى – به العقول والقلوب قبل أن يفتح به البلدان، وغرضها الرئيس بثُّ روح الكراهية في نفوس غير المسلمين وروح الخذلان في قلوب المسلمين؛ مما يؤدي إلى غايتهم العظمى، وهي صدُّ الناس عن الإسلام والقضاء عليه؛ ولذلك استخرت الله – عز وجل – ثم استعنت به – تعالى – وعزمت على الكتابة في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة

١ – انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء للدكتور نبيل لوقا.

٢ – دفع الشبهات عن حديث "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله" لعلاء إبراهيم عبد الرحيم.

٣ – ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها لمحمد فتح الله الزيادي.

منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي؛ حيث قمت بتتبع بعض الشبهات التي أُثيرت حول الآيات التي ذكر فيها القتال في القرآن الكريم، ودراستها، وتحليلها، ثم نقدها نقدًا موضوعيًا وبيان زيفها وبطلانها، ببيان معارضتها للقرآن الكريم والسنة النبوية، وكذا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفائه، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين، ثم أتبعت ذلك ببيان تفسير إجمالي لهذه الآيات.

هيكل البحث

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة:

أما المقدمة فقد تناولت الحديث فيها عن: سبب اختيار البحث، ومنهجه، وهيكله.

وأما التمهيد فقد تناولت فيه:

أولًا: تعريف الشبهات في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا: تعريف القتال والجهاد لغة واصطلاحًا وبيان الفرق بينهما.

وأما الفصل الأول فبعنوان: بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها القتال في القرآن الكريم (عرض ونقد).

ويحتوي على خمسة مباحث:

المبحث الأول: عرض بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها القتال في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الرد على هذه الشبهات من خلال القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الرد على هذه الشبهات من خلال السنة والسيرة النبوية المطهرة.

المبحث الرابع: الرد على هذه الشبهات ببيان بعض البلاد التي دخل أهلها الإسلام دون قتال.

المبحث الخامس: الرد على هذه الشبهات من خلال بعض شهادات المنصفين من المستشرقين.

وأما الفصل الثاني فبعنوان: تفسير الآيات التي ذُكر فيها القتال.

ويحتوي على ستة مباحث:

المبحث الأول: آيات قرآنية تقيد القتال بحال الدفاع ورد الاعتداء.

المبحث الثاني: آيات تأمر بالقتال بصيغة العموم دون تقييد.

المبحث الثالث: آيات نزلت في أُناس مخصوصة.

المبحث الرابع: آية خاصة بقتال البغاة من المسلمين.

المبحث الخامس: أحاديث ذُكر فيها القتال.

المبحث السادس: استنتاج واستنباط مما سبق.

وأما الخاتمة فقد تناولت فيها الحديث عن **أهم نتائج البحث، والاقتراحات.**

ثم ذيّلت البحث **بفهرس للمصادر والمراجع**، رتبته أبجدياً، ذاكرًا اسم الكتاب أولًا، ثم المؤلف، ثم المحقق إن وجد، ثم دار النشر، ثم رقم الطبعة وتاريخها.

ثم آخرًا فهرس الموضوعات.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأن يهديني لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، إنه ولىٌّ ذلك والقادر عليه، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

أولًا : تعريف الشبهات في اللغة والاصطلاح.

(١) تعريف الشبهات في اللغة: الشبهات جمع شبهة، وأصل مادتها (شبه)، يقول الإمام الجوهري: " [شبه] شِبْهٌ وَشَبَهٌ لغتان بمعنىً. يقال: هذا شِبْهُهُ، أي شَبيهَهُ. وبينهما شِبَهٌ بالتحريك، والجمع مَشابَهُ على غير قياس، كما قالوا مَحاسِنُ ومذاكيرُ. والشُبْهَةُ: الالتباسُ. والمُشْتَبِهات من الأمور: المشْكِلاتُ. والمُتشابِهاتُ: المُتَماثِلاتُ. وتَشَبَّهَ فلان بكذا. والتَشْبيهُ: التمثيلُ. وأَشْبَهْتُ فلاناً وشابَهْتُهُ. واشْتَبَهَ عليّ الشئ" [١].

ويقول الإمام ابن فارس: " (شبه) الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابُه الشّيء وتشاكُلِهِ لوناً وَوَصْفاً. يقال شِبْه وشَبَه وشَبيه. والشّبَهُ من الجواهر: الذي يشبه الذّهَب. والمُشَبِّهَات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمرانِ، إذا أَشْكَلاَ" [٢].

ويقول الإمام ابن منظور: " (شبه) الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ والجمع أَشْباهٌ وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ ماثله وفي المثل مَنْ أَشْبَه أَباه فما ظَلَم وأَشْبَه الرجلُ أُمَّه وذلك إذا عجز وضَعُفَ ... وبينهما شَبَه بالتحريك والجمع مَشَابِهُ على غير قياس كما قالوا مَحاسِن ومَذاكير وأَشْبَهْتُ فلاناً وشابَهْتُه واشْتَبَه عَلَيَّ وتَشابَه الشيئانِ واشْتَبَها أَشْبَهَ كلٌّ واحدٍ صاحِبَه وفي التنزيل مُشْتَبِهاً وغَيْرَ مُتَشابه وشَبَّهه إِياه وشَبَّهَه به مثله والمُشْتَبِهاتُ من الأُمور المُشْكِلاتُ والمُتَشابِهاتُ المُتَماثِلاتُ وتَشَبَّهَ فلانٌ بكذا والتَّشْبِيهُ التمثيل وفي حديث حذيفة وذَكَر فتنةً فقال تُشَبَّهُ مُقْبِلَةً وتُبَيِّنُ مُدْبِرَةً قال شمر معناه أَن الفتنة إذا أَقبلت شَبَّهَتْ على القوم وأَرَتْهُمْ أَنهم على الحق حتى يدخلوا فيها ويَرْكَبُوا منها ما لا يحل فإذا أَدبرت وانقضت بانَ أَمرُها فعَلِمَ مَنْ دخل فيها أَنه كان على الخطأ والشُّبْهةُ الالتباسُ وأُمورٌ مُشْتَبِهةٌ

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – فصل الشين – مادة شبه – ج٦ صـ ٢٢٣٦.
(٢)معجم مقاييس اللغة – مادة شبه – ج٣ صـ ٢٤٣.

ومُشَبِّهَةٌ مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بعضاً قال واعْلَمْ بأَنَّك في زَما نِ مُشَبِّهاتٍ هُنَّ هُنَّهْ وبينهم أَشْباهٌ أَي أَشياءُ يتَشابهون فيها وشَبَّهَ عليه خَلَّطَ عليه الأَمْرَ حتى اشْتَبه بغيره " [1].

ويقول الإمام الزبيدي: "(الشِّبْهُ، بالكسْرِ والتّحْريكِ وكأَميرٍ: المِثْلُ، ج أَشْباهٌ)، كجِذْعٍ وأَجْذاعٍ وسَبَبٍ وأَسْبابٍ وشَهِيدٍ وأَشْهادٍ ... (وشابَهَهُ وأَشْبَهَهُ: ماثَلَهُ)، (وأُمورٌ مُشْتَبِهَةٌ ومُشَبَّهَةٌ، كمُعَظَّمَةٍ): أَي (مُشْكِلَةٌ) مُلْتبسةٌ يُشْبِهُ بعضُها بَعْضًا؛ ... (والشُّبْهَةُ، بالضَّمّ: الالْتِباسُ؛ وأَيْضاً: (المِثْلُ). تقولُ: إنّي لفِي شُبْهَةٍ مِنْهُ. (وشُبِّهَ عَلَيْهِ الأَمْرُ تَشْبِيهاً: لُبِّسَ عَلَيْهِ) وخُلِّطَ" [2].

يتضح مما سبق أن مادة الكلمة تدور حول معنيين:

الأول: المماثلة والتشابه بين أمرين أو أكثر سواء في الشكل أو الصفات.

الثاني: الالتباس والاختلاط في أمر ما أو بين شيئين أو أكثر.

ولا شك أن الأقرب إلى تعريف الشبهات في الاصطلاح هو المعنى الثاني.

ولعل الجامع بين كلا المعنيين أن أولهما يؤدي إلى الثاني، وأن من يريد أن يُلبس على أحد شيئًا يجعله مشابهًا ومماثلًا للصواب؛ حتى يقع في الحيرة والشك، وتنطلي عليه خدعته.

(٢) تعريف الشبهات في الاصطلاح:

تعددت تعريفات العلماء لها:

يقول الإمام الجرجاني: "الشبهة: هو ما لم يتيقن كونه حراما أو حلالا" [3].

ويقول الإمام المناوي: "الشبهة: الظن المشتبه بالعلم ذكره أبو البقاء

(١) لسان العرب – مادة شبه – ج١٣ صـ ٥٠٣.
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس – مادة شبه – ج٣٦ صـ ٤١١ وما بعدها.
(٣) التعريفات صـ ١٦٥، ويُنظر أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء صـ ١٠٥، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للإمام زكريا الأنصاري صـ ٧٧، والتعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي صـ ١١٩.

وقال بعضهم الشبهة مشابهة الحق للباطل والباطل للحق من وجه إذا حقق النظر فيه ذهب وقال ابن الكمال الشبهة الشيء المجهول حله وحرمته على الحقيقة كذا في الودائع وعبر عنه بعضهم بقوله ما لم يتيقن حله ولا حرمته ... الشبه والشبيه حقيقته في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم وكالعدالة والظلم. والشبهة أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عينًا كان أو معنى" (١).

ويقول الدكتور/ محمد الزحيلي: "الشبهة: الشيء الغامض الذي يصاحب أمرًا فيمتنع تمييزه عن غيره" (٢).

يتضح مما سبق أن معنى الشبهة في الاصطلاح يدور حول الشيء الباطل الذي يشبه الحق ويؤدي إلى الالتباس والاختلاط عند السامعين ويفتنهم عن المقصد الصحيح؛ لما فيه من غموض أو لشدة شبهه بالحق، لكن يتضح زيفه وبطلانه عند التمحيص والتدقيق.

ثانيًا: تعريف القتال والجهاد لغة واصطلاحًا وبيان الفرق بينهما.

(١) تعريف القتال في اللغة.

القتال في اللغة على وزن فِعَال مصدر للفعل قاتل على وزن فاعل، يقول الإمام الفيروز آبادي: " قَتَلَهُ، و. به، عن ثَعْلَبٍ، قَتْلاً وتَقْتالاً: أماتَهُ، كقَتَّلَهُ، و. الشيءَ خُبْراً: عَلِمَه، و. الشَّرابَ: مَزَجَهُ بالماءِ. وقاتَلَهُ قِتالاً ومُقاتَلَةً وقِتالاً، ... وإنه لَقِتْلُ شَرٍّ: عالِمٌ به، وبالضم وبضمتين، جمعُ قَتولٍ، لكَثيرِ القَتْلِ. وأَقْتَلَهُ: عَرَّضَهُ للقَتْلِ. وكمُعَظَّمٍ: المُجَرِّبُ، و. من القُلوبِ: المُذَلَّلُ الذي قَتَلَهُ العِشْقُ. واسْتَقْتَلَ: اسْتَماتَ. ورجُلٌ وامرأةٌ قَتيلٌ: مَقْتولٌ، وإن لم تُذْكَرِ المرأةُ، فهذه قَتيلَةٌ. وامرأةٌ قَتولٌ: قاتِلَةٌ ... واقْتُتِلَ، بالضم: إذا قَتَلَهُ العِشْقُ أو الجِنُّ. وتَقَتَّلَ لحاجَتِه: تأنَّى، و. المرأةُ في

(١) التوقيف على مهمات التعاريف صـ ٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية في المعاملات المدنية والأحوال الشخصية، ج٢ص٧٥٦.

مِشْيَتِها: تَثَنَّتْ. وتَقَاتَلوا واقْتَتلوا: بمَعْنًى" (١).

ويقول الإمام ابن فارس: " القاف والتاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على إذلالٍ وإماتةٍ. يقال: قتَلَهُ قَتْلاً. والقِتْلَة: الحالُ يُقْتَلُ عليها. يقال قَتَله قِتلةَ سَوء. والقَتْلة: المرّة الواحدة. ومَقاتِلُ الإنسان: المواضع التي إذا أُصِيبت قَتَله ذلك. ومن ذلك: قتلتُ الشيءَ خُبراً وعِلْماً " (٢).

يتضح مما سبق أن القتال مصدر للفعل قاتل، وهو يدل حقيقة على السعي لإذلال وإماتة الغير، ويستعمل مجازًا لمعان أخرى تتعلق بالمعنى الأصلي.

(٢) **تعريف القتال في الاصطلاح**.

القتال مصدر للفعل (قاتل)، وهو يرجع في أصل مادته إلى الفعل (قتل) الثلاثي، ومصدره (القتل)، وقد عرف العلماء القتل بتعريفات متعددة:

يقول الإمام الجرجاني: "القتل هو فعل يحصل به زهوق الروح" (٣).

وقريب منه تعريف محمد عميم الإحسان البركتي: "القتل: فعل يقطع علاقة الروح بالجسد وقطعُها بالموت بفعل المتولِّي لذلك وهو القاتلُ" (٤).

وبناء على ذلك يمكن القول: إن القتال عبارة عن السعي لإزهاق روح بواسطة فعل من الأفعال التي تؤدي لذلك، وهو فعال لا يتصور إلا من طرفين أما القتل فهو الذي يتصور من طرف واحد.

(٣) **تعريف الجهاد لغة**:

الجهاد مصدر جاهد، وأصل مادته (جَهَدَ) من الجَهْد بمعنى التعب والمشقة، يقول الإمام الجوهري: "الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقةُ، وقرئ:

(١) القاموس المحيط ج١ صـ ١٠٤٦، ويُنظر تاج العروس للإمام الزبيدي ج٣٠ صـ ٢٢٨ وما بعدها.

(٢) معجم مقاييس اللغة – مادة قتل – ج٥ صـ ٥٦.

(٣) التعريفات صـ ٢٢٠.

(٤) التعريفات الفقهية صـ ١٧١.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ (التوبة: ٧٩) و﴿ جَهْدَهُمْ ﴾ [١]. قال الفراء: الجهد بالضم الطاقةُ. والجَهْدُ بالفتح من قولك: اجْهَدْ جَهْدَكَ في هذا الأمر، أي ابلُغ غايتك. ولا يقال اجْهَدْ جُهْدَكَ. والجَهْدُ: المشقَّةُ. يقال: جَهَدَ دابته وأَجْهَدَها، إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. وجَهَدَ الرجل في كذا، أي جَدَّ فيه وبالغ. وجَهَدْتُ اللبنَ فهو مَجْهودٌ، أي أخرجت زُبده كله. وجَهَدْتُ الطعامَ: اشتهيته. والجاهدُ: الشَهْوانُ. وجُهِدَ الطعامُ وأُجْهِدَ، أي اشْتُهِيَ. وجَهَدْتُ الطعامَ، إذا أكثرتَ من أكله. ومرعَى جهيدٌ: جَهَدَهُ المال وجهد الرجل فهو مجهود، من المشقةِ، يقال أصابهم قُحوطٌ من المطر فجُهِدوا جَهْداً شديداً. وجَهِدَ عيشهم بالكسر، أي نَكِدَ واشتدَّ. والجَهادُ بالفتح: الأرضُ الصُلبةُ. وجاهَدَ في سبيل الله مجاهدةً وجهاداً. والاجتهادُ والتَجاهُدُ: بذل الوُسعِ والمجهود" [٢].

ويقول الإمام ابن فارس: "(جهد) الجيم والهاء والدال أصلُهُ المشقَّة، ثم يُحمَل عليه ما يقارِبُه. يقال جَهَدْتُ نفسي وأجْهَدت والجُهْد الطَّاقَة. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ (التوبة: ٧٩).

ويقال إنّ المجهود اللبن الذي أُخرِجَ زُبْده، ولا يكاد ذلك [يكونُ] إلاّ بمشقّةٍ ونَصَب ... ومما يقارب البابَ الجَهادُ، وهي الأرض الصَّلبة. وفلانٌ يَجْهَد الطّعامَ، إذا حَمَل عليه بالأكل الكثير الشديد. والجاهد: الشَّهْوان. ومَرْعىً جَهِيدٌ: جَهَدَهُ المالُ لِطِيبه فأكَلَه" [٣].

ويقول الإمام الزَّبيدي: "(الجَهْدُ) ، بِالْفَتْح: (الطَّاقَةُ) والوُسْع، (ويُضَمّ. و) الجَهْد، بِالْفَتْح فَقَط: (المَشَقَّة) . قَالَ ابْن الأَثير: قد تكرَّرَ لَفْظ الجَهْد والجُهْد فِي الحَدِيث، وَهُوَ بِالْفَتْح المَشقَّة، وَقيل المُبالغةُ والغاية. وبالضّمّ: الوُسْعُ والطّاقَةُ، وَقيل: هما لغتانِ فِي الوُسْع والطّاقَة ... (وجَهَدَ، كمنَعَ) ،

---

(١) قراءة الضم متواترة، وقراءة الفتح لابن هرمز، وهي شاذة، يُنظر تفسير الزمخشري ج٢ صـ ٢٩٤، وتفسير أبي السعود ج٤ صـ ٨٧، وتفسير الألوسي ج٥ صـ ٣٣٥.
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – مادة جهد - ج٢ صـ ٤٦٠، ٤٦١.
(٣) معجم مقاييس اللغة – مادة جهد - ج١ صـ ٤٨٦، ٤٨٧.

يَجْهَد جَهْداً: (جَدَّ، كاجْتَهَدَ) وجَهَدَ (دَابَّتَه) جَهْداً (: بَلَغَ جَهْدَهَا) ، وحَمَل عَلَيْهَا فِي السَّيْر فوقَ طاقتِها ... (و) جَهَدَ (بزَيْدٍ: امتَحَنَه) عَن الخَيْر وَغيره. (و) جَهَدَ (المعرضُ فُلاناً) وَكَذَا التَّعَبُ والحُبُّ يَجْهَده جَهْداً: (هَزَله) ومن الْمجَاز: جَهَدَ (اللَّبَنَ) فَهُوَ مجهودٌ، أَي (أَخْرَجَ زُبْدَه كُلَّه) ... (و) جَهَدَ (الطّعَامَ: اشْتَهَاه، كأَجْهَدَه) والمجهود: المُشتَهَى من الطَّعَام واللَّبَن... (و) جَهَدَ الطَّعَامَ: (أَكثَرَ مِنْ أَكلِهِ) ... (و) الجِهَادُ، (بِالْكَسْرِ: القِتَالُ معَ العَدُوِّ، كالمُجَاهَدة) ، قَالَ الله تَعَالَى: {وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ} (الْحَج: ٧٨) يُقَال جَاهَدَ العَدوَّ مُجاهدةً وجِهَاداً: قاتَلَه ... (و) من الْمجَاز: (أَجْهَدَ) فِيهِ (الشَّيْبُ) إِجْهَاداً، إِذا بدَا و (كَثُر وأَسْرَعَ) وانتشَر ... (و) أَجْهَدَتْ لَك (الأَرْضُ) : (بَرَزَتُ) وأَجْهَدَ لَك الطّرِيقُ (و) أَجهَدَ لَك (الحَقُّ)، أَي بَرَزَ و (ظَهَرَ وَوَضَحَ) (و) أَجْهَدَ (فِي الأَمْرِ: احتَاطَ) وَهُوَ مُجْهِدٌ لَك: مُحتَاطٌ ... (و) أَجهَدَ (الشَّيءُ: اخْتَلَطَ) ، نقلَه الصاغانيّ: (و) أَجهَد (مَالَه: أَفْنَاه وفَرَّقَه) ... (و) أَجْهَدَ علينا (العَدُوُّ) ، إِذ (جَدَّ فِي العَداوة)" [(١)].

يتضح مما سبق أن للجهاد معنيين أصيلين، يرتبط بهما كل معانيه الأخرى، **وهما:**

الأول: التعب والمشقة في أي عمل كان، من الجَهد بفتح الجيم.

الثاني: بذل الجُهد واستفراغ الوسع والطاقة في عمل ما، من الجُهد بضم الجيم.

وأرى – والله تعالى أعلى وأعلم – أن كليهما مرتبط بالآخر؛ فبذل الجُهد واستفراغ الوسع والطاقة فيه تعب ومشقة سواء كانت جسدية أو نفسية، وهما معًا يرتبطان بالمعنى الاصطلاحي ارتباطًا وثيقًا؛ فقتال الأعداء ومجاهدتهم فيه تعب ومشقة، ويجب على المجاهدين استفراغ طاقاتهم وإمكانياتهم في مواطن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى.

(١) تاج العروس – مادة جهد - ج٧ صـ ٥٣٤ وما بعدها.

(٤) **تعريف الجهاد اصطلاحًا**:

تنوعت تعاريف العلماء للجهاد اصطلاحا، يقول الإمام الجرجاني: " الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق" [١].

ويقول الإمام قاسم الرومي: " الجهاد: مصدر جاهدت العدو إذا قابلته في تحمل الجهد، أو بذل كل منكما جهده أي: طاقته في دفع صاحبه ثم غلب في الإسلام على قتال الكفار كذا في المغرب" [٢].

ويقول محمد عميم الإحسان البركتي: " الجِهاد: الدعاء إلى الدين وقتالُ من لم يقبله حقيقة أو حكماً بأداء الجزية أو المصالحة" [٣].

يتضح مما سبق أن الجهاد اصطلاحًا يدور حول عدة معان، يمكن إجمالها فيما يلي – بناء على التعاريف السابقة – فيُقال: **(**هو استفراغ الجهد والطاقة في الدعوة إلى الله تعالى بشتى الطرق، ومنها قتال الأعداء وفق الضوابط التي وضعها الإسلام، دون إكراه أو إجبار**)**.

(٥) **الفرق بين القتال والجهاد**:

بعد تعريف كل من القتال والجهاد، **أستطيع القول** إن بينهما **عموم وخصوص وجهي**؛ حيث يجتمعان في محاربة غير المسلمين دفاعًا أو لنشر دين الله عز وجل، **وينفرد القتال** بشتى أنواع القتل والقتال الباقية، **وينفرد الجهاد** ببذل الوسع والجهد واستفراغ الطاقة في الدعوة إلى الله عزوجل دون قتال.

والذي يعنينا من هذه المعاني ما اشترك بينهما **(محاربة غير المسلمين دفاعًا أو لنشر دين الله عز وجل)**، فهو الذي سنتناوله ونركز عليه في هذا البحث.

---

(١) التعريفات صـ ١٠٧.
(٢) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء صـ ٦٤.
(٣) التعريفات الفقهية صـ ٧٤.

الفصل الأول: بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها القتال في القرآن الكريم (عرض ونقد).

ويحتوي على خمسة مباحث:

المبحث الأول: عرض بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها القتال في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الرد على هذه الشبهات من خلال القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الرد على هذه الشبهات من خلال السنة والسيرة النبوية المطهرة.

المبحث الرابع: الرد على هذه الشبهات ببيان بعض البلاد التي دخل أهلها الإسلام دون قتال.

المبحث الخامس: الرد على هذه الشبهات من خلال بعض شهادات المنصفين من المستشرقين.

المبحث الأول: عرض بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها القتال في القرآن الكريم.

وهي تتلخص في رميهم الإسلام بفرية مفادها أنه انتشر بحد السيف؛ كي يحاولوا إثبات أنه دين عنف وإرهاب.

وقد أطلقها نيلسون صراحة حين قال: "وأخضع سيف الإسلام شعوب إفريقية وآسيا شعبًا بعد شعب" (١).

وزعم يوليوس فلهاوزن أن الإسلام انتشر بحد السيف، وأن البداية ظهرت في أول اشتباك بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين؛ مما أدى إلى نصر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين على أعدائهم؛ وهذه – من وجهة نظرة – كانت الزريعة أن يشرع في الأخذ بسياسة الإرهاب داخل المدينة (٢).

ويؤكد على هذا المعنى في موطن آخر فيزعم أن القوة التي انتشر بها الإسلام كانت حد السيف خاصة بعد فتح مكة والمعارك التي خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم لإرغام القبائل العربية على الدخول في الإسلام، ويؤكد كلامه مستدلًا أيضًا بما حدث من محاربة المرتدين لإجبارهم على الرجوع للإسلام – من وجهة نظره – بواسطة سيف الله تعالى: خالد بن الوليد الذي استعان به خليفة المسلمين أبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ويرى أنه بعد عودة هذه القبائل للإسلام اتجهت الأنظار إلى الفتح الخارجي؛ كي ينخرط هؤلاء الأعراب في قوافل المجاهدين؛ تفاديًا للفتنة، وحتى يكون ولاء هؤلاء الأعراب للإسلام ويدافعوا عنه ويرى أنهم لم يكن أماهم خيار إلا الرجوع للإسلام وإلا قتلوا (٣).

بينما يزعم فان فلوتن أن هناك فرقًا بين انتشار الإسلام وانتشار

(١) نقلًا عن التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د/ عمر فَرّوخ – د/ مصطفى الخالدي، ج٣ صـ ٤١.
(٢) يُنظر تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، صـ ١٥.
(٣) يُنظر السابق صـ ٢٣.

المسيحية؛ مؤكدًا أن المسيحية انتشرت عبر القرون بانسيابية أما الإسلام فكان على العكس من ذلك، متهمًا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنه لم يلبث أن أصبح له نفوذ روحي وزماني عظيم بعد سنين قلائل من الجهاد والاضطهاد وكما يدل على ذلك غير آية من القرآن، وذلك النفوذ الذي كان يتمتع به الرسول دينيا قويا قام بحد السيف وانتشر بين الشعوب عن طريق الإنذار والوعيد، ولم يكن اعتناق أهل الجزيرة العرب للإسلام أو بالأحرى خضوعهم له نتيجة دعاية سلمية، بل أرغمهم على الدخول في الإسلام سواء بعد بدر أو بعد فتح مكة، وقد حدث أكثر من ذلك – من وجهة نظره – بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد مع المرتدين [(١)].

ومثله غيومان لوسيتر حين قال: "إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس أسلموا أو موتوا، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم" [(٢)].

ويقول هاري آليس: "إن سنة ٧٣٢ وافقت ذكرى وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فبلغت دعوته أقصى المغرب وكادت أن تصل إلى أقصى المشرق، ولم يكن السيف وحده قوام الدعوة، بل كان الكثير من أبناء البلدان المفتوحة يقبلون على الإسلام لتفضيلهم إياه على عقائدهم أو لأن الدخول في الإسلام يرفع عنهم الضرائب التي تُجبى من غير المسلمين" [(٣)].

وهذا في كلامه شيء قليل من الإنصاف لا يُقارن بكمية الافتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام.

ويقول واشنجتون إيرفنج: "إن بقاء الهلال حتى اليوم في أوروبا؛ حيث كان يومًا ما بالغًا غاية القوة إنما يرجع إلى اختيار الدول المسيحية

(١) يُنظر السيادة العربية والشيعية والاسرائيليات في عهد بني امية، صـ ٦.
(٢) نقلًا عن الإسلام في قفص الاتهام لشوقي أبو خليل صـ ٨٦.
(٣) نقلًا عن الإسلام والحضارة الإنسانية للأستاذ عباس محمود العقاد، صـ ١٢٠، ١٢١.

الكبرى أو يرجع بالأحرى إلى تنافسها، ولعل الهلال باق ليكون دليلًا على أن (من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ)" [١].

أما في العصر الحديث فقد أضافوا للإسلام تهمة اخرى تنبثق من الأولى، وهي زعمهم أنه دين إرهاب ويدعو للعنف، ولم يقتصر الأمر على كون إطلاق هاتين الشبهتين نهجًا فرديًا لبعض الأشخاص، بل تعداه لبعض الساسة وأصحاب القرار في الدول الغربية، يقول الدكتور/ نبيل لوقا: "وقد زادت قسوة المستشرقين والكتاب والمثقفين الغربيين على الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، التي حدثت في أمريكا في نيويورك وواشنطن واتهمو الإسلام بأنه هو الذي صنع الإرهاب في العالم وأن من اتبعوه قاموا باتباعه خوفًا وقهرًا من حد السيف لدرجة أن الساسة والحكام الغربيين اشتركوا في هذه الحملة الظالمة على الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر، فها هو وزير العدل الأمريكي في حكومة بوش يتجنى على الإسلام بأنه دين العنف، وها هي تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة تنضم إلى قافلة التجني على الإسلام أنه دين العنف" [٢].

ومما يُؤسف له تأثر بعض المسلمين بمثل هذه الأفكار المسمومة وتصديقهم لها، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات، ففي بيروت كان يُدرس في المدارس الفرنسية هناك لطلاب الصف الخامس كتاب بعنوان تاريخ محاضرات الشرق الأدنى للمستشرق ج. بلزاك، وجاء في الكتاب: " وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة" [٣].

ومن يريد التأكد من مدى خطورة وتأثير هاتين الشبهتين، فليكتب

(١) نقلًا عن المستشرقون والإسلام، د/ زكريا هاشم، صـ ٤٤.
(٢) انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء، صـ ٢٥.
(٣) نقلًا عن الإسلام في قفص الاتهام لشوقي أبو خليل صـ ٨٦.

في محرك البحث **(Google)** عبارة انتشار الإسلام بحد السيف، أو الإسلام دين العنف، أو الإسلام دين الإرهاب؛ فسيرى العجب العجاب مما يندى له الجبين من أناس حاقدين على الإسلام أو جاهلين أو مخدوعين.

خلاصة آراء المستشرقين:

(١) يوجد بينهم شبه إجماع على هذه الفرية، وهم متنوعون بين من ذكر أدلة ومن لم يذكر.

(٢) تتلخص أدلتهم فيما يلي:

أ - تشريع القتال في الإسلام وبداية انتشارة بالقوة – كما يزعمون – بعد غزوة بدر.

ب - زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أجبر جميع العرب على الدخول في الإسلام قبل وفاته، خاصة بعد فتح مكة.

ج - استدلالهم بحروب الردة على أنها تنافي حرية الاعتقاد؛ حيث يظنون أنها أجبرت المرتدين على الرجوع للإسلام مرة أخرى تحت تهديد السيف.

د - ظنهم أن التوسع في الفتوحات الإسلامية كان لضمان ولاء المرتدين الذي أجبروا على الرجوع للإسلام، ولصرف أنظارهم عن التفكير في الارتداد مرة أخرى؛ لأنهم سيصبحون درعًا وحماية للإسلام يزودون عنه بأنفسهم وأولادهم وأموالهم.

□

هـ - رميهم الفتوحات الإسلامية بأنها قد أتت لإجبار الناس على الدخول في الإسلام، بينما يرى بعض من عنده شيء من الإنصاف أن الناس إما دخلوا عن اقتناع أو لرفع الجزية عنهم أو خوفًا من السيف، وقد أنصف في الأولى فقط؛ وهم بهذا يبررون ما قاموا به من مذابح للإسلام والمسلمين، في حروبهم المختلفة.

(٣) أن هذه الفرية عامة لا تقتصر على بعض المفكرين، بل تتعداهم لبعض الساسة وأصحاب القرار.

(٤) أن هذه الفرية لا تقتصر على غير المسلمين، بل تعدتهم إلى المسلمين، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات.

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما السبب وراء رمي الإسلام بهذه الفرية التي لا أساس لها من الصحة؟

عند التدقيق في واقع الإسلام والمسلمين اليوم أستطيع أن أستخرج بعضًا من هذه الأسباب، وهي:

١ – تنفير الناس من الإسلام برسم صورة سيئة له؛ مما يؤدي إلى عدم الرغبة في استكشافه، خاصة أنه أكثر الأديان انتشارًا، ولو ترك دون تشويه لدخل الناس فيه أفواجًا.

٢ – صرف المسلمين عن الدعوة إلى الله تعالى، بتشويه الإسلام وأهله، فيقفوا موقف المدافع، وينشغلوا بالدفاع ويتركوا الدعوة إلى الإسلام.

٣ – بث روح الهزيمة النفسية في نفوس ضعاف المسلمين، بمثل هذه الشبهات.

٤ – محاولة تبرير ما قام به الاحتلال الغربي من مجازر وحشية للإسلام وأهله، بدعوى رد ما فعله بهم المسلمون.

٥ – تأهيل المجال لخروج جماعات إسلامية متشددة لا تمت إلى الإسلام

بصلة يعتنقون هذه الفكرة (انتشار الإسلام بحد السيف) ويطبقونها، مما يؤدي إلى:

أ - تشويه صورة الإسلام داخليًا وخارجيًا.

ب - معاناة الدول والشعوب كافة ومحاولاتهم المستميتة للقضاء على هذه الفرق الضالة.

ج - تأثر بعض الجهلاء بأفكارهم الخداعة، سواء انضموا لهم أو كانوا بذرة ستنمو في يوم من الأيام.

□

المبحث الثاني : الرد على هذه الشبهات من خلال القرآن الكريم.

أولًا : آيات تدعو للتفكر والتدبر والنظر قبل قبول الدخول في الإسلام أو رفضه.

الآيات في هذا الباب كثيرة جدا، فقد حفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات، منها ما يوجه نظرهم فيها لما في هذا الكون من دلائل على وجود الحق عز وجل، قال تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤) ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠)، وقال تعالى ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد: ٤)، وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ ﴾ (الجاثية: ٣ – ٥).

ومنها ما يضرب فيها الأمثال، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ

أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس: ٢٤)، وقال تعالى ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (الرعد: ١٩).

ومنها ما يلفت النظر فيه إلى ما حدث للأمم السابقة حين أعرضوا وكذبوا رسلهم عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى بعد ذكر قصة قوم لوط ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٣٥)، وقال تعالى بعد قصة نوح عليه السلام ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر: ١٥).

وقال تعالى عمومًا في ختام سورة يوسف التي سمّى قصصها أحسن القصص ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١).

ثانيًا: آيات تدعو إلى حرية الاعتقاد وعدم الإكراه في الدين:

الآيات في هذا الباب صريحة، قطعية الدلالة منها:

قوله تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقوله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف: ٢٩).

بل قد جاءت سورة كاملة تُسمى بسورة الكافرون، تؤكد ما سبق من معان بطريقة بليغة؛ لتغلق الطريق أمام من يهرفون بمثل هذه الشبهات، قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾ (الكافرون: ١–٦).

أبعد مثل هذه الآيات يمكن أن يُقال إن الإسلام انتشر بحد السيف وإنه دين يدعو إلى العنف والإرهاب.

ثالثًا: آيات تدعو إلى إعمال العقل والفكر فيما جاء به القرآن والتفكر فيما في الكون من الدلائل والبراهين.

القرآن مليء بمثل هذه الآيات، فمنها ما يدعو الحق حل في علاه الناس لإعمال العقل والتفكر فيما جاءهم من القرآن: قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢)، وقال ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد: ٢٤)، وقال ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ (ص: ٢٩).

ومنها ما يدعوهم فيها إلى التفكر في خلقه سبحانه وتعالى، وما فيه من دليل على صنع الله الذي أتقن كل شيء، قال تعالى ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ

بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤)، وقال ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (النحل: ١٠ – ١١)، وقال ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الرعد: ٣)، وقال ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١).

ولو تتبعت الآيات في هذا الباب لاحتجت إلى بحوث وبحوث، ولكن أكتفي بالإشارة إليها.

رابعًا: آيات تنعى عل المشركين في كل زمان عدم إعمال عقولهم وانسياقهم وراء ما كان عليه آباؤهم.

قال تعالى في بيان هذه القاعدة واطرادها عند جميع الأمم ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ

كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الزخرف: ٢٣ - ٢٥).

وقال في شأن مشركي قريش ﴿ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الزخرف: ٢١ - ٢٢)، وقال ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٠)، وقال ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٤)، وقال ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (لقمان: ٢١).

فهذه الآيات وأمثالها كثير كلها تصب في بوتقة إعمال العقل قبل الدخول في الإسلام والتفكر قبل الإقدام على هذه الخطوة، فهل يُحس فيها بأي رائحة لإجبار أو عنف؟

خامسًا: آيات تبين ان طبيعة الناس الاختلاف، وأنه سبحانه وتعالى لو شاء لآمنوا جميعًا، ولكن ذلك اختبار لهم؛ حتى لا يستوي المؤمن بالكافر، والجزاء للكل يوم القيامه، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ١١٢)، وقال تعالى ﴿ وَأَنزَلۡنَآ

إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (لمائدة: ٤٨)، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩)، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (هود: ١١٨)، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٣)، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (الشورى: ٨).

فهذه طبيعة البشر، وطبيعة الرسالة، وإلا فما الداعي لإرسال الرسل والحساب والجزاء على ما قدمه الإنسان في هذه الدنيا.

سادسًا: آيات تحدد مهمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمجرد الإبلاغ فقط أما الهداية فمن الله عز وجل وحده.

الآيات في هذا الباب كثيرة فمنها ما يدل على عموم هذه المهمة لكل الأنبياء، قال تعالى ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (المائدة: ٩٩)، وقال تعالى ﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾

(العنكبوت: ١٨)، وقال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (النحل: ٣٥)، وقال تعالى ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (العنكبوت: ١٨)، وقال تعالى على لسان الرسل الذين أرسلوا لأهل القرية ﴿ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (يس: ١٧)، ومنها ما هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، سواء أكان الخطاب له، قال تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (النحل: ٨٢)، وقال تعالى ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾ (الرعد: ٤٠)، وقال تعالى ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ (آل عمران: ٢٠)، أم لغيره، قال تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (لمائدة: ٩٢)، ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (النور: ٥٤)، وقال تعالى ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾ ا(الشورى: ٤٨)، وقال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (التغابن: ١٢)، وقال تعالى ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام: ٦٦).

ومن هذه الآيات ما تنفي عن الأنبياء إجبار الناس على الإيمان بطريق آخر؛ فتنفي كونهم وكلاء أو حفظاء على الناس، وقال تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ (هود: ٨٦)، وقال تعالى بخصوص نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٧)، وقال تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (يونس: ١٠٨)، وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (الزمر: ٤١)، وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (الشورى: ٦)، وقال تعالى ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٤).

ويلاحظ مما سبق أن الايات كلها تؤكد على مهمة الرسل، وهي إبلاغ الرسالة فقط وإقامة الحجة والبراهين على ذلك، وتنفي عنهم ما سوى ذلك، فالله جل في علاه هو الوكيل والحفيظ، وعلى الرسل عليهم السلام البلاغ وعليه سبحانه وتعالى الحساب.

سابعًا: **آيات تبين حوار الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم ودعوتهم لهم بالحكمة والموعظة الحسن وجدالهم بالتي هي أحسن.**

أجد ذلك في قصة نوح عليه السلام مع قومه؛ حين لبث فترة طويلة يدعوهم إلى الإيمان، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (العنكبوت: ١٤) .

وفي وصف جانب من دعوته قال تعالى على لسان قومه ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (هود: ٣٢) .

وذكر تعالى جانبًا من حوار هود عليه السلام مع قومه، **قال تعالى** ﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ (هود: ٥٣ – ٥٧) .

وذكر تعالى طرفًا من حوار صالح عليه السلام مع قومه، **قال تعالى** ﴿ قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾ (هود: ٦٢ – ٦٣) .

وذكر تعالى طرفًا من حوار شعيب عليه السلام مع قومه، **قال تعالى** ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (هود: ٨٧ – ٨٨) .

وذكر تعالى طرفًا من حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وكيف جادله بالحسنى، وعندما لم يقتنع أخبره بأنه سيستغفر له، **قال تعالى** ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ (مريم: ٤٢ – ٤٧) .

وحواره عليه السلام مع قومه، **قال تعالى** ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأنبياء: ٥١ – ٥٦) .

وخاطب موسى وأخاه هارون عليهما السلام آمرًا إياهما باللين في الدعوة، قال تعالى ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (طه: ٤٢ – ٤٤) .

وحينما خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم، أمره قائلًا ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: ١٢٥) .

والآيات والأحاديث التي تصف حوار النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم السلام أكثر من أن يُحصيها هذا البحث المتواضع وحسبي أني قد أصبت منها بعض الإشارات.

المبحث الثالث: الرد على هذه الشبهات من خلال السيرة النبوية المطهرة.

إن المطالع لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجد العجب العجاب، في دعوته ومجادلته بالحسنى لقومه مع صدهم وجحودهم للحقيقة التي تبدو واضحة مثل الشمس، ولو استقصيت الحديث عن ذلك ما كفتني مجلدات كثيرة، ولكن سأقتطف من ذلك بعض المواقف:

أولًا: مدة سلمية الدعوة أكثر من المدة التي شُرع القتال فيها.

بداية الدعوة إلى الله كانت سلمية لمدة توازي نصف مدة الدعوة، أو تزيد، فلم يشرع القتال إلا بعد الهجرة، وقد كان باستطاعة المسلمين أن يُقاتلوا المشركين، خاصة أنهم بين أظهرهم، لكن الله تعالى لم يُرد ذلك، ومن يقول إنهم كانوا مستضعفين، فلينظر الآن ماذا تفعل الجماعات الإرهابية داخل الدول، لكن شتان بين هؤلاء وبين الرسالة المحمدية؛ لذلك لم يؤمروا بالقتال مع قدرتهم.

ولقد أوذي المسلمون أشد الإيذاء، في سبيل الله عز وجل، يصور ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري عن خَبَّابِ بن الْأَرَتِّ قال شَكَوْنَا إلى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا له: ألا تَسْتَنْصِرُ لنا؟ ألا تَدْعُو اللَّهَ لنا؟ قال: كان الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرض فَيُجْعَلُ فيه فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ على رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ من عَظْمٍ أو عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، والله لَيُتِمَّنَّ هذا الْأَمْرَ حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ من صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إلا اللَّهَ أو الذِّئْبَ على غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" [(١)].

(١) صحيح البخاري – كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام- حديث رقم (٣٤١٦) ج٣ صـ ١٣٢٢.

بل وصل الإيذاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، أخرج الإمام البخاري عن عُرْوَةُ بن الزبير: "أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النبي صلى الله عليه وسم حَدَّثَتْهُ أنها قالت لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسم هل أتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كان أَشَدَّ من يَوْمِ أُحُدٍ قال لقد لَقِيتُ من قَوْمِكِ ما لَقِيتُ وكان أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهم يوم الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على ابن عبد يا ليل بن عبد كُلَالٍ فلم يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ على وَجْهِي فلم أَسْتَفِقْ إلا وأنا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فإذا أنا بِسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فقال إِنَّ اللَّهَ قد سمع قَوْلَ قَوْمِكَ لك وما رَدُّوا عَلَيْكَ وقد بَعَثَ الله إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قال يا محمد فقال ذلك فِيمَا شِئْتَ إن شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الْأَخْشَبَيْنِ فقال النبي صلى الله عليه وسم بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله من أَصْلَابِهِمْ من يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شيئا" [(١)].

ثانيًا: **قبول الفداء من أُسارى بدر بعد هزيمة المشركين**.

نصر الله تعالى المؤمنين على المشركين في أول غزوة، وهي غزوة بدر؛ وكان نتيجة لذلك أن وقع بعض الأسرى من مشركي قريش الذين تفننوا في التعذيب والتنكيل بالمسلين؛ حيث أذاقوهم العذاب صورا وألوانًا شتى، فكان طبعيًا أن يقوم النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الأُسارى والتنكيل بهم أسوة بما فعلوه به وبالمسلمين، لكنه صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر وعمر بن الخطاب فأشار أبو بكر عليه وبقبول الفدية منهم، وأشار عمر عليه أن يمكن كل مسلم من قريبه فيضرب عنقه، أخرج الإمام أبو داود عن ابن عَبَّاسٍ قال حدثني عمر بن الخطاب قال: "فلما أَسَرُوا الْأُسَارَى قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ

(١) صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق – باب إذا قال أحدكم آمين والمائكة في السماء فوافقت إحاهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه – حديث رقم (٣٠٥٩) ج٣ صـ ١١٨٠.

ما تَرَوْنَ في هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى فقال أبو بَكْرٍ يا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ منهم فِدْيَةً فَتَكُونُ لنا قُوَّةً على الْكُفَّارِ فَعَسَى الله أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ما تَرَى يا بن الْخَطَّابِ قلت لَا والله يا رَسُولَ اللَّهِ ما أَرَى الذي رَأَى أبو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا من عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي من فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فإن هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا فهوى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بَكْرٍ ولم يَهْوَ ما قلت فلما كان من الْغَدِ جِئْتُ فإذا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وأبو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قلت يا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي من أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أنت وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لم أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ من أَخْذِهِمْ الْفِدَاءَ لقد عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى من هذه الشَّجَرَةِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ من نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنْزَلَ الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ إلى قوله ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ ﴾ (الأنفال: ٦٧ – ٦٩)، فَأَحَلَّ الله الْغَنِيمَةَ لهم" [١].

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسرى خيرا، سواء في المعاملة أو المأكل والمشرب، وتباين فداء الأسرى، فمن كان ذا مال فداؤه أربعة آلاف درهم، وممن أخذ منه أربعة آلاف درهم أبو وداعة، وأخذوا من العباس مائة أوقية، ومن عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية، دفعها عنه العباس، وأخذوا من آخرين أربعين أوقية.

(١) صحيح مسلم – كتاب الجهاد والسير – باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم – جزء من حديث رقم (١٧٦٣) ج٣ صـ ١٣٨٣.

وأطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سراح عمرو بن أبي سفيان مقابل أن يطلقوا سراح سعد بن النعمان بن أكال، الذي أسره أبو سفيان وهو يعتمر، ومن لم يكن لديهم مقدرة على الفداء، وكانوا يعرفون الكتابة جعل فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة (١).

أبعد ذلك يُتهم الإسلام بأنه دين عنف وإرهاب، لو قتل الأسارى لما اتهم بذلك، فكيف وقد قبل منهم الفداء، ثم ألم يكن الله سبحانه وتعالى قادرًا على أن ينزل الوحي يخبر بقتلهم قبل قبول الفدية؟ بلى قادر على كل شيء، لكنه – والله تعالى أعلى وأعلم – أراد أن يُعطي العالم أجمع صورة عن الإسلام ونبيه مفادها كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ثالثًا: **مقتل بعض الدعاة من المسلمين**.

وقعت في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – واقعة مؤسفة قتل فيها بعض حفاظ وقراء القرآن ، وقد تحدث عنها أنس بن مالك – رضي الله عنه – ، ورُوي عنه فيها روايات كثيرة ، منها:

١ – ما رواه الإمام البخاري عن أنس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان فزعموا أنهم أسلموا واستمدوه على قومهم فأمدهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بسبعين من الأنصار قال أنس : كنا نسميهم القراء يحطبون بالنهار ويصلون بالليل فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غدروا بهم وقتلوهم فقنت شهرا يدعو على رعل وذكوان وبني لحيان قال قتادة :

(١) يُنظر فقه السيرة للشيخ/ محمد الغزالي السقا، صـ ٢٤٢ وما بعدها، والسيرة النبوية للشيخ/ أبي الحسن الندوي، صـ ٢٣٣ وما بعدها، والرحيق المختوم، للشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري، صـ ٢٠٨ وما بعدها.

وحدثنا أنس أنهم قرؤوا بهم قرآنا ألا بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم رفع بعد ذلك " [1] .

٣ – ما رواه الإمام البخاري عن أنس – رضي الله عنه – قال : " بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – سرية يقال لهم القراء فأصيبوا فما رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – وجد على شئ ما وجد عليهم فقنت شهرا في صلاة الفجر ويقول إن عصية عصت الله ورسوله " [2].

٤ – ما رواه الإمام ابن حبان عن أنس – رضي الله عنه – قال : " كان شباب من الأنصار يسمون القراء يكونون في ناحية من المدينة يحسب أهلوهم أنهم في المسجد ويحسب أهل المسجد أنهم في أهليهم فيصلون من الليل حتى إذا تقارب الصبح احتطبوا الحطب واستعذبوا من الماء فوضعوه على أبواب حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثهم جميعا إلى بئر معونة فاستشهدوا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على قتلتهم أياما " [3] .

يُفهم مما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث سبعين من خيرة الصحابة مع قوم زعموا أنهم أسلموا ولم يكونوا كذلك ليعلموهم أمور دينهم ويدعوا أقوامهم عسى أن يُسلموا، فغدروا بهم وقتلوهم.

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير باب العون بالمدد – حديث رقم (٢٨٩٩) ج٣ صـ ١١١٥.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الدعوات – باب الدعاء على المشركين وقول الله تعالى "ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين" – حديث رقم (٦٠٣١) ج٥ صـ ٢٣٤٩ .

(٣) صحيح ابن حبان – كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضي الله عنهم أجمعين – باب فضل الصحابة والتابعين – حديث رقم (٧٢٦٣) ج١٦ صـ ٢٥٣ .
والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند أنس بن مالك رضي الله عنه – حديث رقم (١٣٤٨٧) ، (١٣٤٨٨) ، (١٣٤٩٠) ج٣ صـ ٢٣٥ .
والإمام البيهقي في سننه – كتاب الحيض – باب القنوت في الصلوات عند نزول نازلة – حديث رقم (٢٩١٧) ج٢ صـ ١٩٩.

وقريب منها هذه القصة أخرج الحاكم عن عاصم بن عمر بن قتادة أن ناسا من عضل والقارة وهما حيان من جديلة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بعد أحد فقالوا إن بأرضنا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يقرئوننا القرآن ويفقهوننا في الإسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ستة نفر منهم مرثد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وهو أميرهم وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي وعبد الله بن طارق الظفري وزيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فخرجوا وأميرهم مرثد بن أبي مرثد حتى إذا كانوا بالرجيع أتتهم هذيل فلم يرع القوم في رحالهم إلا الرجال في أيديهم السيوف قد غشوهم بها فأخذ القوم أسيافهم ليقاتلوا فقالوا اللهم ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب من أهل مكة فلكم عهد الله وميثاقه فأما عاصم ومرثد وخالد فقاتلوا حتى قتلوا وقالوا والله ما نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا" (١).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ما الداعي لإرسالهم إذا كان الدخول في الإسلام يقوم على الإجبار؟ ولماذا فضل النبي صلى الله عليه وسلم طريق الدعوة بالحسنى مع خطورتها على طريق القتال؟ ثم لماذا لم يُخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما سيحدث حتى يتجنب مثل هذه الفاجعة؟

هذا بالإضافة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم اكتفى بالدعاء على قتلتهم ولم يحاربهم.

رابعًا: تحرير سبي يهود خيبر ودخولهم في الإسلام.

أخرج الإمام البخاري عن عن أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَزَا خَيْبَرَ ... قال فَأَصَبْنَاهَا

(١) المستدرك على الصحيحين – كتاب معرفة الصحابة – باب ذكر مناقب مرثد بن أبي مرثد الغنوي– حديث رقم (٤٩٧٩) ج٣ صـ ٢٤٥.

عَنْوَةً فَجُمِعَ السَّبْيُ فَجَاءَ دِحْيَةُ فقال يا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْطِنِي جَارِيَةً من السَّبْيِ قال اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ فَجَاءَ رَجُلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ لَا تَصْلُحُ إلا لك قال ادْعُوهُ بها فَجَاءَ بها فلما نَظَرَ إِلَيْهَا النبي صلى الله عليه وسلم قال خُذْ جَارِيَةً من السَّبْيِ غَيْرَهَا قال فَأَعْتَقَهَا النبي صلى الله عليه وسلم وَتَزَوَّجَهَا فقال له ثَابِتٌ يا أَبَا حَمْزَةَ ما أَصْدَقَهَا قال نَفْسَهَا أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا" (١).

وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أروع مثال في الإنسانية؛ حين أعتق هذه المرأة الأسيرة، التي قتل زوجها، وهي ابنة سيد من سادات اليهود؛ ونتيجة لذلك أعتق المسلمون من في أيديهم من أسرى اليهود؛ حتى لا يكون أصهار النبي صلى الله عليه وسلم عبيدًا بينهم؛ وأدى ذلك إلى ما ينشده النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل يهود خيبر في دين الله أفواجًا؛ لما لمسوه من عدالة الإسلام وسماحته (٢).

خامساً: **إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الرسل إلى ملوك العالم يدعوهم للدخول في الإسلام**.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (سبأ : ٢٨).

فعندما استتب له الأمر، وبدأ العرب يدخلون في دين الله أفواجاً قام بدعوة غيرهم وأرسل الرسل وبعث البعوث للملوك والأمراء.

فَبَعَثَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْد اللَّه بْن حُذَافَة إِلَى كِسْرَى، وَدِحْيَة إِلَى قَيْصَر ملك الروم، وَسَلِيط بْن عَمْرو إِلَى هَوْذَة بْن عَلِيّ

(١) السابق – كتاب الصلاة – باب ما يُذْكَرُ في الْفَخِذِ – جزء من حديث رقم (٣٦٤) ج١ صـ ١٤٥.

(٢) يُنظر فقه السيرة للشيخ/ الغزالي صـ ٣٤٧ وما بعدها، والرحيق المختوم للمبارك فوري صـ ٣٤٤ وما بعدها.

بِالْيَمَامَة، وَالْعَلاء بْن الْحَضْرَمِيّ إِلَى الْمُنْذِر بْن سَاوَى بِهَجَر، وَعَمْرو بْن الْعَاصِ إِلَى جَيْفَر، وَعَبَّاد اِبْنَيْ الْجَلَنْدِيّ بِعَمَّان, وَشُجَاع بْن وَهْب إِلَى اِبْن أَبِي شَمِر الْغَسَّانِيّ، وَحَاطِب بْن أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِس، وكتب إِلَى النَّجَاشِيّ فأسلم، ولما مات صلى عليه، ثم كتب إِلَى النَّجَاشِيّ الذي تملك بعده وبعث إليه عَمْرو بْن أُمَيَّة، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وإلى عبادة الله وحده [١].

وجاء في خطابه لهرقل ملك الروم: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤) [٢].

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: إذا كان الإسلام قد انتشر بحد السيف كما يزعمون، فما الداعي لإرسال الرسل الذين قد يقتلو؟

الجواب في قوله تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٤).

---

(١) يُنظر السيرة النبوية للحافظ ابن كثير ج٣ صـ ٥٠٧ وما بعدها، وفقه السيرة للشيخ/ الغزالي صـ ٣٥٦ وما بعدها، والرحيق المختوم للمبارك فوري صـ ٣٢٤ وما بعدها، والسيرة النبوية للشيخ/ أبي الحسن الندوي صـ ٣٩٣ وما بعدها.

(٢) يُنظر صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير – باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتَلون عليه وما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر والدعوة قبل القتال – حديث رقم (٢٧٨٠) وما بعده ج٣ صـ ١٠٧٤ وما بعدها.

وقد أثمرت هذه الوسيلة، فقد آمن البعض، وكاد أن يؤمن البعض، وجحد واستكبر آخرون [١].

سادسًا: فتح مكة والعفو عن مشركيها.

حينما أشرف النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على مكة كي يفتحوها قال سعد بن عبادة رضي الله عنه – وهو أنصاري من النقباء – لأبي سفيان رضي الله عنه: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فخاف بعض المهاجرين أن يشتد سعد في قتاله لقريش – وهو حامل راية الأنصار – فقال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما: يا رسول الله، والله لا نأمن من سعد أن تكون منه في قريش صولة، فتصرف النبي صلى الله عليه وسلم سريعًا، فبين أولًا خطأ هذه المقولة، فقال صلى الله عليه وسلم: "كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة)"، وقيل إنه قال: "يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله فيه قريشًا"، ثم أرسل إلى سعد رضي الله عنه، فأخذ الراية منه وسلمها إلى ابنه قيس، ولمَّا اعترض الأوباش جيش المسلمين ولم يراعوا الأمان والعهد، أمر النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار أن يقتلوهم، وأذن لهم بالقتال بعد المنع، ففعلوا ذلك، ولم يعترضهم أحد إلا وتصدوا له حتى قُتل أو فر هاربًا، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم متواضعًا واضعًا رأسه ومردفًا أسامة بن زيد رضي الله عنهما [٢].

---

(١) من الذين آمنوا: النجاشي ملك الحبشة، ومن الذين رقّوا وكادوا أن يؤمنوا لولا خوفه من قومه وخشيته من ضياع ملكه : هرقل عظيم الروم ومن الجاحدين المستكبرين كسرى عظيم الفرس، يُنظر السيرة النبوية للحافظ ابن كثير ج٣ صـ ٥٠٧ وما بعدها، وفقه السيرة للشيخ/ الغزالي صـ ٣٥٦ وما بعدها، والرحيق المختوم للمبارك فوري صـ ٣٢٤ وما بعدها.

(٢) يُنظر السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ج٣ صـ٥٦١ وما بعدها، والرحيق المختوم للشيخ المباركفوري صـ ٣٦٧ وما بعدها.

والسؤال: لماذا لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم أو يأسرهم ويذلهم على الأقل؟ إن فعل ذلك فليس عليه وزر، بل يكون ردًا لما فعلوه به وبالمؤمنين.

الجواب: إنه لا يريد فتح الحصون بل فتح القلوب، كما جاء في صفته في التوراة، أخرج الإمام البخاري عن عبد اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ هذه الْآيَةَ التي في الْقُرْآنِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ (الأحزاب: ٤٥) قال في التَّوْرَاةِ يا أَيُّهَا النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أنت عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ليس بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ ولا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ ولا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حتى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إلا الله فَيَفْتَحَ بها أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا" [(١)].

□

(١) صحيح البخاري – كتاب التفسير – باب (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) – حديث رقم (٤٥٥٨) ج٤ صـ ١٨٣١.

المبحث الرابع: الرد على هذه الشبهات ببيان بعض البلاد التي دخل أهلها الإسلام دون قتال.

لم يقتصر انتشار الإسلام على ما لمسه غير المسلمين من سماحة وعدالة الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية، بل إن هناك دولًا لمس أهلها ذلك من مخالطة المسلمين دون أن يفتح المسلمون هذه الدول، وانتشر الإسلام فيها انتشارًا يوازي الدول التي فتحها المسلمون، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كذب الفرية التي رمى بها أعداء الإسلام من أنه انتشر بحد السيف، وذلك مثل دول في قارة آسيا: كإندونيسيا، وماليزيا، والفلبين، وسنغافورة، وبورما، وفيتنام، وكمبوديا، ولاوس، وتايلند، والصين, وتركستان الشرقية، وبروناي، يقول الدكتور/ محمود قمر: " والحقيقة أن قصة انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا تُعَدُّ من أعظم قصص انتشار الإسلام في العالم؛ فالمسلمون لم يذهبوا إلى هذه المناطق الشاسعة المساحة العظيمة السكان بجيوش فاتحة، ولم يخوضوا مع أهلها حروبًا تُذكر، وإنما ذهبوا إليها كتُّجار يحملون أخلاقَ الإسلام، وهَمَّ الدعوة إلى الله، وذلك بالحسنى والمعاملة الحسنة، فحقَّقوا القاعدة الأصيلة التي تؤكد أن الإسلام إنما يغزو القلوب لا الأراضي أو البُلدان. فقد حمل التجار المسلمون بضائعهم، ورحلوا من المشرق الإسلامي إلى تلك البلاد النائية عن طريق البحر، وكان لعرب جنوب الجزيرة العربية اليمنيّين والعُمَانيِّين النصيب الأوفى في ذلك، فأخذوا يبيعون ويبتاعون، ووجد أهل تلك البلاد النائية فيهم الصدق، وعرَفوا فيهم العفَّة والأمانة، ثم علموا أن هذا كله من أثر العقيدة التي يحملونها؛ فحُبِّب الإسلام إلى نفوسهم؛ الأمر الذي لم يظلوا عليه طويلاً حتى باتوا يَدِينُون بالإسلام، وأصبحوا من أبنائه المخلصين" (١).

---

(١) الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا صـ ١.

وقد تناول الدكتور بالتفصيل في كتابه وقائع انتشار الإسلام في ربوع قارة آسيا دون أن تسال قطرة دم واحدة مما يعطي دليلًا دامغًا على أن غرض الإسلام الحقيقي فتح القلوب لا البلدان.

وكما فتحت معظم قارة آسيا دون قتال فتحت معظم قارة إفريقيا أيضًا دون قتال، حيث فتحت مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب فقط، أما بقية إفريقيا فدخل أهلها الإسلام دون قتال، فقد انتشر الإسلام في بقية إفريقيا أيضًا عن طريق التجار؛ لما لمسه السكان من أخلاق المسلمين التي كانت تجسيدًا عمليًا لأخلاق هذا الدين التي يدعو إليها القرآن والسنة، وقد ألف المؤرخون ليثبتوا هذه الحقائق، ويدونوا كيفية تأثر غير المسلمين بالمسلمين الذين وفدوا عليهم للتجارة وللاستيطان ببلادهم [(١)].

والذي يعنيني في هذا المقام إثبات هذه الحقيقة التاريخية التي لا يجهلها أحد، ولذلك لم استقص في بيان تفاصيلها، فقد كفتني بذلك كتب التاريخ، وإنما يكفيني إثبات ما ينقض هذه الشبهات كما بينت.

ولم يقتصر الأمر على التأثير في الغير المسالمين الذين تربط المسلمين بهم أواصر الصداقة فقط، بل تعداه إلى التأثير في الأعداء أيضًا، فقد حدثنا التاريخ عن أعداء تأثروا بالإسلام ودخلوا فيه مع أنهم كانوا بالأمس القريب ألد أعدائه وأشدهم على أتباعه، تقتيلًا وتدميرًا وتنكيلًا؛ فلم يسجل التاريخ نكبة للأمة الإسلامية كما سجل من نكبات المغول عليها.

وقد أبدى توماس أرنولد استغرابه من ذلك حين قال: "ولكن لم يكن بد من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى، وأطلال مجده

(١) من هذه المؤلفات: انتشار الإسلام في شرقي إفريقية ومناهضة الغرب له للدكتور محمد عبد الله النقيرة، وانتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء للأستاذ/ عبد الله سالم محمد بازينة.

الخالد، كما استطاع بواسطة دعاته أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين ويحملهم على اعتناقه، ويرجع الفضل في ذلك إلى نشاط الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعاب أشدها لمناهضة منافسين قويين، كانا يحاولان إحراز قصب السبق في ذلك المضمار، وليس هناك في تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب، وتلك المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام، كل ديانة تنافس الأخرى، لتكسب قلوب أولئك الفاتحين القساة، الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقطار والأقاليم" [١].

فقد توزعت دولة المغول بعد وفاة جنكيز خان إلى أربعة فروع، وبدأ الإسلام ينتشر في هذه الفروع الأربعة، وأصبح التتار يعتنقون الإسلام ففي ظرف مائة سنة دخلوا الإسلام، وقد عرض أرنولد عدة أحداث تلقي الضوء على ذلك [٢].

فهل بعد ما عرض يخالج أي أحد أدنى شك في بطلان هذه الشبهة وما ترتب عليها من أباطيل؟

□

(١) الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية صـ ٢٥٠.
(٢) يُنظر السابق صـ ٢٤٦ وما بعدها.

المبحث الخامس: الرد على هذه الشبهات من خلال بعض شهادات المنصفين من المستشرقين.

كما وجد من يتهم الإسلام بهذه الفرية وجد أيضًا من المستشرقين من يدافع عنه ويدحض عنه هذه الافتراءات إحقاقًا للحق واحترامًا للعدالة والإنصاف:

يقول جوستاف لوبون: "لم ينتشر الإسلام بالسيف .... بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب" (١).

ويقول توماس كارليل في معرض حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل ليقاتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها" (٢).

ويقول جيمس ميتشنر: "اعتقد الغرب أن توسع الإسلام ما كان يمكن ان يتم لو لم يعمد المسلمون إلى السيف ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأي فالقرآن صريح في تأييده لحرية العقيدة والدليل قوي على أن الإسلام رحب بشعوب مختلفة الأديان ما دام أهلها يحسنون المعاملة ويدفعون الجزية" (٣).

أما عن معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي فيصورها بعضهم قائلًا: "لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على

---

(١) حضارة العرب صـ ١٢٨.
(٢) المستشرقون والإسلام للدكتور/ زكريا هاشم صـ ٤٣، ٤٤.
(٣) المستشرقون والإسلام للدكتور/ زكريا هاشم صـ ٥٠.

قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي" [١].

ويقول المستشرق بارتولد:" إن النصارى كانوا أحسن حالًا تحت حكم المسلمين إذ أن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل" [٢].

ويقول المستشرق ديورانت: " لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام" [٣].

وتبرهن إحداهم على ذلك بعدم تحول المسلمين عن دينهم مع حملات التبشير ومع أن حكوماتهم غير مسلمة فتقول: "إن أحدًا لا يستطيع اليوم أن يزعم أن سيف الفاتح هو الذي يمهد السبيل أمام الإسلام – على العكس – ففي الأصقاع التي كانت في يوم من الأيام دولًا إسلامية تولت مقاليد السلطة حكومات جديدة تنتسب إلى أديان أخرى وعملت في أوساط المسلمين طوال فترات عديدة منظمات تبشيرية قوية، ومع ذلك فإن هذه الحكومات وتلك المنظمات لم توفق إلى زحزحة الإسلام وإقصائه عن حياة الشعوب الإسلامية" [٤].

ويقرر أحد الكتاب الأمريكيين المعاصرين وهو: آندرو باترسون أن الإسلام والعنف لا يجتمعان أبدًا؛ لأنه دين يدعو للسلام، فيقول: " إن

(١) الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد صـ ١٩٩.
(٢) يُنظر السابق صـ ١٢٤.
(٣) قصة الحضارة ج١٣ صـ ١٣٠.
(٤) دفاع عن الإسلام للورافيشيا غليري صـ ٤٠.

العنف باسم الإسلام ليس من الإسلام في شيء بل إنه نقيض لهذا الدين الذي يعني السلام لا العنف" (١).

أما عن سبب إقبال غير المسلمين على الدخول فيه فيصوره المستشرق دوزي قائلًا: "إن تسامح ومعاملة المسلمين الطيبة لأهل الذمة أدى إلى إقبالهم على الإسلام وأنهم رأوا فيه اليسر والبساطة مما لم يألفوه في دياناتهم السابقة" (٢).

وبعد فهذا غيض من فيض أثبته هنا لمن لا يؤمنون إلا بمثله من الأدلة، وهي وغيرها من أقوال المنصفين أحد الأدلة على نقض هذه الشبهة من أساسها.

□

(١) لا سكوت بعد اليوم لبول فندلي صـ ٩١..
(٢) يُنظر: تاريخ أهل الذمة في العراق لتوفيق سلطان صـ ٧٠.

الفصل الثاني: تفسير الآيات التي ذُكر فيها القتال.

ويحتوي على ستة مباحث:

المبحث الأول: آيات قرآنية تقيد القتال بحال الدفاع ورد الاعتداء

المبحث الثاني: آيات تأمر بالقتال بصيغة العموم دون تقييد.

المبحث الثالث: آيات نزلت في أُناس مخصوصة.

المبحث الرابع: آية خاصة بقتال البغاة من المسلمين.

المبحث الخامس: أحاديث ذُكر فيها القتال.

المبحث السادس: استنتاج واستنباط مما سبق.

□

تمهيد:

ذُكر القتال في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بصيغ شتى، في سور وأحاديث متعددة، كما ذُكر لفظ الجهاد فيهما أيضًا بصيغ شتى وصور متعددة؛ وذلك يدل على أهميتهما، وعظيم مكانتهما [(١)].

وليس غرضي استقصاء كل الآيات والأحاديث التي ورد فيها القتال والجهاد بمشتقاتهما وصورهما، بل سأقف بإذن الله تعالى مع بعض الآيات التي يُوهم ظاهرها اتهمام الإسلام بهذه الفرية، وكذا بعض الأحديث للنبي صلى الله عليه وسلم، وأضم لهما بعضًا مما يدفع هذه الشبهة من الآيات والأحاديث، وسأقسمها إلى مجموعات، أتناول بعون الله تعالى وتوفيقه في كل مبحث مما يلي بعضًا منها بتفسير إجمالي، ثم أتبع ذلك بمبحث خاص بالاستنتاج والاستنباط مما سبق، والله الموفِّق والمستعان.

□

(١) يُنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي مادة (ق ت ل) صـ ٥٣٣ وما بعدها، ومادة (ج ه د) صـ ١٨٢، ١٨٣.

المبحث الأول: آيات قرآنية تقيد القتال بحالة الدفاع ورد الاعتداء وتبين أنه شُرع لنصرة المظلومين.

وردت آيات عديدة في القرآن الكريم تتحدث عن القتال دفاعًا عن النفس والعرض والأوطان وغيرها، كما وردت آيات أخرى تفيد أن القتال إنما شرع ردًا على ظلم قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وإيذائه والمسلمين أشد الإيذاء، منها:

قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾ (**البقرة**: ١٩٠ ـ ١٩٤).

معاني المفردات:

{فِي سَبِيلِ اللَّهِ}: سبيل الله: دينه. {ثَقِفْتُمُوهُمْ}: وجدتموهم. {الْفِتْنَةُ}: الابتلاء (١).

المعنى الإجمالي للآيات:

قيل إنها أول ما نزل في شأن القتال، والأصح أن آيات سورة الحج هي الأولى، وهذه الآيات تبين نوعًا من أنواع الجهاد في الإسلام، وهو رد

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج١ صـ ٣٠٠.

الاعتداء والدفاع عن دين الله عز وجل؛ فقد خصصت القتال بقتال الذين يقاتلوننا، وأعقبته بالنهي عن الاعتداء، ثم ختمت الآية ببيان أن الله تعالى لا يحب المعتدين، ثم أعقبها ما يفيد الأمر بقتال المشركين حيث وجدوا وبإخراجهم معللا ذلك بأن ما فعلوه بالمسلمين أكبر من هذا، وفي هذا دليل على أن المراد بالمشركين كفار مكة، ثم ينهى الحق تعالى المسلمين عن قتالهم عند المسجد الحرام إلا ردًا للعدوان؛ معللًا ذلك بأنه جزاء لهم على سوء صنيعم، فإن انتهوا عن كفرهم وظلمهم فإن الله غفور رحيم، ثم يأمر الحق جل وعلا المسلمين بقتالهم؛ حتى تزول فتنهم ويدخل الناس في دين الله تعالى أفواجًا، فإذا انتهوا فلا قتال إلا للظالمين المعتدين، ثم تُختم الآيات بالتأكيد على ما افتُتحت به من قتال المعتدين حتى لو كان ذلك في الأشهر الحرم، ووجوب رد اعتداء المعتدين، وختام الآية يبين أن الله تعالى مع المؤمنين المتقين، وناصرهم على أعدائهم [١].

قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

(١) يُنظر تفسير الطبري ج٣ صـ ٥٦١ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الواحدي ج١ صـ ٢٩١ وما بعدها، والتحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور ج٢ صـ ٢٠٠ وما بعدها، وتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ج٢ صـ ١٦٨ وما بعدها، وتفسير الشعراوي ج٢ صـ ٨٢٢ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الاكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج١ صـ ٤٠٦ وما بعدها.

حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ (البقرة: ٢١٦ ـ ٢١٧).

معاني المفردات:

كتب عليكم: أي فرض عليكم، والصدّ المنع، والفتنة: أي فتنة المسلمين في دينهم بإلقاء الشبهات في قلوبهم أو بتعذيبهم، يرتدد: أي يرجع، وحبط العمل: بطل وفسد، وآمنوا: أي ثبتوا على إيمانهم، وهاجروا: أي فارقوا الأهل والوطن، وجاهدوا من الجهد وهو المشقة، ويرجون: أي يتوقعون المنفعة بعمل الأسباب التي سنها الله، ورحمة الله: أي ثوابه [١].

المعنى الإجمالي للآيات:

يتحدث الحق جل في علاه في هذه الآيات ويبين فيها أنه فرض الجهاد على صحابة النبي صلى الله عليه وسلم أو على المسلمين فرض كفاية أو فرض عين، والراجح – كما يرى الإمام الطبري – أنه فرضه على المسلمين فرض كفاية، ثم يبين أنهم يكرهونه لما فيه من التعب والمشقة، لكن فيه الخير الكثير، في الدنيا والآخرة، والله تعالى أعلم بما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، ثم يبين في الآية التي تليها بعضًا من أسباب فرض الجهاد؛ فقد لاقى المسلمون من مشركي مكة صنوفًا وألوانًا من العذاب والتنكيل من الصد عن سبيل الله تعالى وعن البيت الحرام والكفر بالله عز وجل، وهي أمور أكبر عند الله تعالى من القتال في الأشهر الحرم، وتختم الآيات ببيان أن المشركين لن يكفوا عن قتال المسلمين حتى يصدوهم عن دينهم ويرجعوهم إلى الكفر مرة ثانية ومن يفعل ذلك فقد خاب وخسر وحبط عمله في الدنيا والآخرة [٢].

(١) تفسير المراغي ج٢ صـ ١٣١.
(٢) يُنظر تفسير الطبري ج٤ صـ ٢٩٥ وما بعدها، وتفسير السمرقندي (بحر العلوم) ج١ صـ ١٤٢، ١٤٣، وتفسير الماوردي (النكت والعيون) ج١ صـ ٢٧٢، ٢٧٣، وتفسير القرطبي ج٤ صـ ٢٩٥ وما بعدها.

قوله تعالى ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ (**النساء**: ٧٤ ـ ٧٦).

معاني المفردات:

سبيل الله: هى تأييد الحق والانتصار له، بإعلاء كلمة الدين ونشر دعوته، ودفاع الأعداء إذا هددوا أمتنا، أو أغاروا على أرضنا، أو نهبوا أموالنا، أو صدونا عن استعمال حقوقنا مع الناس، ويشرون: يبيعون كما جاء فى قوله «وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ» وقوله «وَلَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» وقوله «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ» . والطاغوت: من الطغيان، وهو مجاوزة الحق والعدل والخير إلى الباطل والظلم والشر، والكيد: السعى فى الفساد على وجه الحيلة [(١)].

المعنى الإجمالي للآيات:

الفاء في قوله تعالى (فليقاتل) للإفصاح عن شرط مقدر، والمعنى إن أبطأ المنافقون والذين في قلوبهم مرض وتأخروا عن الجهاد فليقاتل المؤمنون الصادقون الذين يبيعون الدنيا بالآخرة في سبيل الله فهو المعتد به في الجهاد (إعلاء كلمة الله عز وجل) والمؤمن يجاهد للحصول على إحدى الحسنين الشهادة أو النصر، فإذا حدث استحق أجرًا عظيما

(١) تفسير المراغي ج٥ صـ ٩٠.

لايعرف قدره إلا الحق جل في علاه، ثم حرض المؤمنين في الآية الثانية على القتال بأبلغ أسلوب عن طريق الالتفات وغرض الاستفهام تحريضهم عليه والإنكار عليهم في تركه مع توافر دواعيه، وذكر منها نصرة المستضعفين من المؤمنين المسجونين بمكة أو الممنوعين من الهجرة سواء أكانوا رجالًا أم نساء، مع تضرعهم لله عز وجل دائمًا أن يمن عليهم بالخروج من مكة الظالم أهلها، وأن يجعل لهم حافظًا يحفظ عليهم دينهم وناصرًا من عند الله عز وجل لهم على أعدائهم، ثم يشجع المسلمين على القتال ببيان أنهم يقاتلون في سبيل الله أما الكفار فيقاتلون في سبيل الطاغوت؛ وهذا أدعى لقتال الكافرين؛ فكيد الشيطان ضعيف، ويُفهم منه وعدهم بالنصر إن نصروا الله عز وجل أولًا [(1)].

قوله تعالى﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟

(1) يُنظر تفسير النسفي ج١ صـ ٣٧٣ وما بعدها، والبحر المحيط في التفسير للإمام أبي حيان ج٣ صـ ٧٠٩ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الاستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي ج٣ صـ ٢١٧ وما بعدها، والتفسير المنير للزحيلي ج٥ صـ ١٥٣، ١٥٤.

سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

﴾ (التوبة: ١ – ١٥).

□

معاني المفردات:

{بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ}: المراد من البراءَة قطع العهد بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – وبين الناكثين للعهد من المشركين. {عَاهَدْتُمْ}: عاقدتم. {فَسِيحُوا في

الْأَرْضِ}: فسيروا فيها أَحرارا. {غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ}: أَي غير مفلتين من انتقامه. {مُخْزِي الْكَافِرِينَ}: مذلُّهم في الدنيا والآخرة. {وَأَذَانٌ}: الأَذان، الإِعلام بأَمر مهم، وشاع إِطلاق الأَذان على النداءِ للصلاة. {يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ}: المراد به يوم عيد النحر وقيل، يوم عرفة. {وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}: أَي وأَنذرهم بعذابه فإِن التبشير كما يستعمل كثيرًا في الإِخبار بما يسرُّ، يستعمل قليلًا في الإِخبار بما يسوءُ، لغرض الإِهانة والتحقير. {وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ}: أَي ولم يعينوا عليكم [1].

{انْسَلَخَ}: انقضى. {وَخُذُوهُمْ}: وَأْسِرُوهم، والأَخيذ؛ الأَسير. {وَاحْصُرُوهُمْ}: وضيقوا عليهم وامنعوهم من الإفلات. {وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ}: وراقبوهم في كل مكان يرى فيه تحركهم، حتى تمنعوهم من التجمع ضدكم، أَو الفكاك منكم. {فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ}: أَي فاتركوهم أَحرارًا. {اسْتَجَارَكَ}: أَي سأَل جوارك ليكون في حماك وأَمانك. {فَأَجِرْهُ}: أَي فأَمِّنْه {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ}: فما وفوا بعهدهم لكم. {يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ}: يغلبوكم. {لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً}: لا يراعوا فيكم قرابة ولا عهدًا {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ}: استبدلوا بالقرآن. {فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ}: فأَعرضوا عن دينه الموصل إِليه. {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ}: لما حرف يفيد نفى وقوع الفعل إِلى زمن التكلم مع توقع وقوعه في المستقبل، والمراد أَنه إِلى الآن لم يتحقق وقوع الجهاد منكم، لعدم حصوله وقت نزول الآية، ولكنه ينتظر وقوعه وفق ما في علم

---

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٦٥٥، ١٦٥٦.

الله. {وَلِيجَةً}: الوليجة الصديق الذي تطلعه على سرك وخفايا أَمرك من الولوج وهو الدخول، ويطلق عليه لفظ بطانة أَيضًا، لأَنك تباطنُهُ بأَسرارك (١).

المعنى الإجمالي للآيات:

بعث الله عزوجل محمدًا بالحجة والإقناع وليس بالسيف والإجبار، ويدل على ذلك آيات وأحاديث كثيرة، ومع ذلك قاتله المشركون وناصبوه وأتباعه العداء من أول وهلة ونالوا منهم وساموهم صنوف العذاب والتنكيل حتى وصل الأمر للتآمر عليه صلى الله عليه وسلم بدار الندوة من أجل حبسه أو قتله أو نفيه إلا أن الحق سبحانه وتعالى نجاه والمسلمين فهاجروا للمدينة وأقاموا دولة الإسلام هناك وحدث قتال بينه وبين مشركي مكة حتى تعاهدوا على الصلح مدة عشر سنوات، ودخلت خزاعة في حلف النبي صلى الله عليه وسلم بينما دخل بنو بكر في حلف قريش، ثم نقض المشركون العهد فأغار بنو بكر على خزاعة، وكان ذلك إيذانًا بنقض الصلح من طرق قريش، والآيات معنا تتحدث في هذا السياق فافتتحت بالبراءة من عهد المشركين الذين نقضوا الصلح، ومع ذلك أمهلتهم أربعة أشهر، ثم أمرت النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم بذلك في موسم الحج، ثم يحثهم على التوبة والإيمان ويهددهم بقدرة الله تعالى على نصر المسلمين عليهم والتنكيل بهم، ثم يستثني الحق جل في علاه من نقض العهد الذين أتموا عهودهم ولم ينقصوها مع المسلمين فيجب الإيفاء بعهودهم إلى آجالها التي حددت، ثم يتحدث عن ناكثي العهود بإمهالهم أربعة أشهر ثم قتالهم إلا من استجار بالمؤمنين فيُسمع كلام الله ثم يُبلّغ إلى أأمن مكان له، ثم تتحدث الآيات عن طبيعة المشركين وتأصلهم في نقض العهود شأنهم في ذلك شأن اليهود بالإضافة إلى طغيانهم وظلمهم

(١) السابق الجزء نفسه صـ ١٦٥٩، وما بعدها.

إن قدروا على المسلمين وغلبوهم، ويكرر الله تعالى لهم إن باب التوبة مفتوح ويدعوهم إلى إعمال عقولهم والإيمان به سبحانه وتعالى والانصياع لأوامره حتى يتوب عليهم، أما إذا تمادوا في ظلمهم وطغيانهم وصمموا على نقضان العهود فليس لهم إلا السيف، ثم تُختم الآيات ببيان أنهم يستحقوا القتال، لأنهم البادئون بالعدوان ونقض العهود بالإضافة لإخراجهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وتؤكد الآيات على ضرورة قتالهم حتى يرتدعوا ويؤمنوا بالله عز وجل وحده (1).

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ **(التوبة: ٣٦).**

معاني المفردات:

الشهور: واحدها شهر، وهو اسم للهلال سميت به الأيام، والكتاب: هو اللوح المحفوظ كما قال تعالى «عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسى» والحرم: واحدها حرام، من الحرمة بمعنى التعظيم، والدين: الشرع، والقيم: أي الصحيح المستقيم الذي لا عوج فيه، وكافة: أي جميعا، والنسيء من نسأ الشيء ينسؤه نسأ ومنسأة: إذا أخره، أي الشهر الذي أنسئ تحريمه: أي أخر عن موضعه (2).

---

(1) يُنظر المحرر الوجيز للإمام ابن عطية ج٢ صـ ٣٣٢ وما بعدها، وتفسير القرطبي ج٨ صـ ٦٣ وما بعدها، وتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ج١٠ صـ ١٣٤ وما بعدها، وتفسير الشعراوي ج٨ صـ ٤٨٥٨ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ١٩٤ وما بعدها.

(2) تفسير المراغي ج١٠ صـ ١١٣.

المعنى الإجمالي للآية:

يبين الحق جل في علاه في هذه الآية أن الشهور عنده اثنا عشر شهرًا منذ أن خلق السماوات والأرض، وهي الأشهر القمرية، وأن منها أربعة حرم يحرم فيها القتال، بينها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع: ذو القدة وذو الحجة والمحرم ورجب (١)، ثم أعقب ذلك بالأمر بقتال المشركين دفاعًا عن الدين، فهم يقاتلونكم ليفتنوكم عن دينكم وردكم إلى الكفر بعد الإسلام، لا لطمع في أرضكم وأموالكم، وتُختم الآية ببيان أنه تعالى مع المؤمنين وناصرهم على أعدائهم إن اتقوا الله حق تقاته وتمسكوا بدينهم واتحدوا لمواجهة عدوهم (٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ (**الحج**: ٣٨ ـ ٤١).

معاني المفردات:

{خَوَّانٍ كَفُورٍ}: الخَوَّانُ؛ الكثير الخيانة, والكَفُور: الشديد الكفر.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب بدء الخلق – باب ما جاء في سبع أرضين – حديث رقم (٣٠٢٥) ج٣ صـ ١١٦٨.

(٢) يُنظر تفسير البغوي ج٤ صـ ٤٥ وما بعدها، وتفسير الزمخشري ج٢ صـ ٢٦٩، والمحرر الوجيز للإمام ابن عطية ج٣ صـ ٢٩ وما بعدها، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين الهرري ج ١١ صـ ٢٣٩ وما بعدها.

{بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا}: بسبب كونهم مظلومين. {صَوَامِعُ}: جمع صومعة، وهي متعبَّد خاص برهبان النصارى. {وَبِيَعٌ}: جمع بِيْعَة بوزن حرفة، وهي متعبَّد النصارى عامة.

{وَصَلَوَاتٌ}: جمع صلاة وهي كنيسة اليهود، وأُطلق عليها صلاة لأَنهم يصلون فيها، وذلك من إِطلاق اسم الحالِّ على المحل، أَو المظروف على الظرف. {وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}: أَي له تعالى مرجعها تدبيرًا وحُكْمًا [١].

المعنى الإجمالي للآيات:

هذه أول آيات نزلت في تشريع القتال، يبين الحق سبحانه وتعالى فيها أولًا أنه يدفع ويدافع عن المؤمنين ضد كفار مكة الذين آذوه والمسلمين، وقد طلب منه المسلمون أن يأذن لهم بقتالهم فلم يؤذن لهم إلا بعد الهجرة بهذه الآيات، خاتمًا الآية ببيان كرهه لكل خوان للأمانة كفور بنعمه، ثم يأذن للمسلمين بالقتال معللًا ذلك بدفع الظلم الذي وقع عليهم، وبيان أنه سبحانه وتعالى قادر على نصرهم على جميع أعدائهم وإن تكالبت عليهم الدنيا بمن فيها، ثم يُفصل سبحانه وتعالى ويصور بعضًا من ألوان الظلم الذي وقع عليهم من إخراجهم من ديارهم بغير حق بسبب إيمانهم بالله عز وجل، ثم يبين الحق سبحانه وتعالى أن هذه سنته في خلقه (التدافع بين الحق والباطل) وأنه لولا دفعه المشركين بالمؤمنين لغلبهم المشركون وقتلوهم وخربوا ديارهم وأرغموهم على ترك دينهم بالتعبير عن ذلك بهدم صوامع الرهبان وبيع اليهود وكنائس اليهود ومساجد المسلمين، ثم وعدهم – ووعده الحق – أن ينصر الحق وأهله دومًا إن نصروه سبحانه وتعالى أولًا، وتُختم الآية بصفتين تناسبان المقام لله عز وجل وهما القوة والعزة، ثم يبين الحق جل في علاه أن الغرض من تمكين

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٦ صـ ١٢٢٣.

حزبه ونصرهم إنما هو نشر هذا الدين بين الناس، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تُختم الآيات ببيان أن عاقبة الأمور كلها لله جل في علاه يجازي الكافرين والعصاة ويثيب الطائعين الملتزمين بمنهجه القويم [١].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ

(١) يُنظر تفسير السمرقندي ج٢ صـ ٤٦١، والتفسير الوسيط للإمام الواحدي ج٣ صـ ٢٧٣، وتفسير البيضاوي ج٤ صـ ٧٢، وتفسير أبي السعود ج٦ صـ ١٠٨، وتفسير الشعراوي ج١٦ صـ ٩٨٣٠.

وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (**الممتحنة**: ١ ـ ٩).

سبب نزول الآيات:

أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ نزل في مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة ومن معه إلى كفار قريش يحذرونهم وقوله تعالى ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾ نهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه فيستغفروا للمشركين وقوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم" [١].

وأخرج الحاكم أيضًا عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال قدمت قتيلة بنت العزي بنت أسعد من بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية فقدمت على ابنتها بهدايا ضبابا وسمنا وأقطا فأبت أسماء أن تأخذ منها وتقبل منها وتدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها

(١) المستدرك – كتاب التفسير – تفسير سورة الممتحنة – حديث رقم (٣٨٠٢) ج٢ صـ ٥٢٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الحافظ الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

وتدخلها منزلها فأنزل الله عز وجل ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ إلى آخر الآيتين (١).

معاني المفردات:

(أَوْلِيَاءَ): أَصدقاءَ أَحباءَ جمع ولي وهو الصديق. (بِالْمَوَدَّةِ): بالمحبة والإخلاص. (يَثْقَفُوكُمْ): يتمكنوا منكم ويظفروا بكم.(يَبْسُطُوا): يمدوا ويسرفوا في مساءَتكم. (يَفْصِلُ): يقضي ويحكم (٢).

(أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ): قدوة طيبة وخصلة حميدة. (أَنَبْنَا): رجعنا. (فِتْنَةً): معذبين بهم. (يَتَوَلَّ): يُعرض (٣).

(وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ): وتقضوا إليهم بالقسط والعدل. (الْمُقْسِطِينَ): العادلين.(وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ): وعاونوا الذين قاتلوكم وأَخرجوكم (٤).

المعنى الإجمالي للآيات:

يتضح من سبب نزول هذه الآيات أنها نزلت للتفرقة بين نوعين من المشركين، الأول: الذين قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من أرضهم وديارهم أو ساعدوا على ذلك فيمنع موالاتهم ونصرتهم ويجب قتالهم إلا أن يتوبوا، وقد بشرهم الله تعالى بأنه قادر على تغييرهم فيصبحوا أولياء بعد ان كانوا أعداء، ونوع آخر لم يقاتل المسلمين ولم يخرجهم من أرضهم فهؤلاء لهم عند المسلمين العدل والإحسان والبر وفعل الخيرات وسياق الآيات كلها يدور حول هذين النوعين، فقد أفاض الحق جل وعلا في بيان

(١) المستدرك – كتاب التفسير – تفسير سورة الممتحنة – حديث رقم (٣٨٠٤) ج٢ صـ ٥٢٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الحافظ الذهبي: صحيح.
والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده – حديث عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه – حديث رقم (١٦١٥٦) ج٤ صـ ٤.
ويُنظر أيضًا أسباب النزول للإمام الواحدي ج ١ صـ ٤٢١ وما بعدها.
(٢) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج١٠ صـ ١٣٧٥.
(٣) السابق الجزء نفسه صـ ١٣٧٩.
(٤) السابق الجزء نفسه صـ ١٣٨١.

ذلك فأمرهم أولا بعدم اتخاذ عدوه وعدوهم من المشركين أولياء وضرب لهم مثالا – ليتأسوا به – بإبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين حين تبرأوا من قومهم حتى يؤمنوا بالله عز وجل وحده، ثم استثنى من ذلك النوع الآخر الذي لم يقاتل المسلمين ويخرجهم أو يساعد على إخراجهم كما مر سابقًا [١].

(١) يُنظر تفسير ابن كثير ج٨ صـ ١١١ وما بعدها، وتفسير أبي السعود ج٨ صـ ٢٣٥ وما بعدها، وفتح القدير للإمام الشوكاني ج٥ صـ ٢٠٥ وما بعدها، وتفسير المراغي ج٢٨ صـ ٦٠ وما بعدها.

المبحث الثاني: آيات تأمر بالقتال بصيغة العموم دون تقييد.

وردت آيات في القرآن الكريم تأمر بالقتال دون تقييد بشيء، ومنها:

قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾

(**البقرة**: ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

المعنى الإجمالي للآيتين:

يحض الله تعالى المؤمنين في هاتين الآيتين على الجهاد في سبيلة وعدم الخشية من الموت، ويضرب لهم مثالًا بمن سبقهم؛ حيث خرجوا من ديارهم وهم كثرة خشية الموت، فكان جزاؤهم أن أماتهم الله ثم أحياهم بعد إماتتهم؛ للدلالة على أن الموت والحياة بيده سبحانه وحده، وكان الواجب عليهم عدم الفرار من القتال خاصة وهم كثرة وليسوا قلة [(١)].

□

(١) يُنظر تفسير النيسابوري ج١ صـ ٦٦٠ وما بعدها، وفتح القدير للإمام الشوكاني ج١ صـ ٢٩٩ وما بعدها، وتفسير القاسمي ج٢ صـ ١٧٥، ١٧٦، وتفسير المراغي ج٢ صـ ٢٠٦، ٢٠٧.

المبحث الثالث: آيات نزلت في أُناس مخصوصة.

وردت آيات قرآنية تأمر بقتال أُناس مخصوصة، منها:

قوله تعالى ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ (**التوبة**: ٢٩).

معاني المفردات:

{الْجِزْيَةَ}: هي ضريبة لنا على أَهل الكتاب جزاءَ حمايتهم وحقن دمائهم.

{عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}: أَي عن يد مواتية منقادة وهم خاضعون [١].

المعنى الإجمالي للآية:

نزلت هذه الآية تامر بقتال اليهود والنصارى معللة ذلك بأنهم لايؤمنون بالله واليوم الآخر على الحقيقة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله حقيقة والمقصود بهم الروم وقد تجهز النبي صلى الله عليه وسلم لقتالهم فغزاهم في تبوك وجعل الحق جل وعلا قتالهم حتى يدفعوا الجزية فيدخلوا في حماية المسلمين [٢].

وهذه الآية مما تشبث به أعداء الإسلام في طعنهم فيه ورميه بأنه انتشر بحد السيف وأنه يدعو للعنف والإرهاب، ونحن نقول لهم إن الآية ليس فيها ما يدل على ذلك، فهي لم تأمر بقتال أهل الكتاب ابتداء إلا إذا حدث منهم ما يوجب قتالهم، كما أنها جعلت غاية لذلك، وهي إعطاؤهم

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٦٨٧.
(٢) يُنظر تفسير البغوي ج٤ صـ ٣٣، وتفسير ابن كثير ج٤ صـ ١١٦، وتفسير التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور ج١٠ صـ ١٦٢ وما بعدها، وتفسير الشعراوي ج٨ صـ ٥٠٢٣ وما بعدها.

الجزية ودخولهم تحت حكم المسلمين؛ حيث يسهل دخولهم في الإسلام عن اقتناع لا عن إجبار، يقول الشيخ المراغي: "(حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ) أي قاتلوا من ذكروا حين وجود ما يقتضى القتال كالاعتداء عليكم أو على بلادكم أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم أو تهديد منكم وسلامتكم كما فعل بكم الروم وكان ذلك سببا لغزوة تبوك- إلى أن تأمنوا عدوانهم بإعطائكم الجزية بشرط أن تكون صادرة عن يد أي من قدرة واسعة فلا يظلموا ولا يرهقوا، وأن يخضعوا لسيادتكم وحكمكم، وبذا يسهل السبيل لاهتدائهم إلى الإسلام بما يشاهدون من عدلكم وفضائلكم التي يرونها رأى العين. فإن أسلموا عمّ الهدى والعدل، وإن لم يسلموا وأعطوا الجزية وجب تأمينهم وحمايتهم والدفاع عنهم وإعطاؤهم حريتهم فى دينهم ومعاملتهم بالعدل والمساواة كالمسلمين «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» . ويحرم ظلمهم وإرهاقهم بتكليفهم ما لا يطيقون، ويسمّون حينئذ أهل الذمة، إذ كل هذه الحقوق تكون لهم بمقتضى ذمة الله وذمة رسوله" [١].

ولم يؤثر عبر التاريخ الإسلامي كله أن أُكره غير المسلمين على الدخول في الإسلام وإنما عاشوا جنبًا إلى جنب مع المسلمين آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وحرية اعتقادهم وعبادتهم.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ ﴾ **(التوبة:** ٧٣).

□

(١) تفسير المراغي ج١٠ صـ ٩٥.

معاني المفردات:

{وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}: واشدد عليهم ولا تأْخذك بهم رأْفة ورحمة. {وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ}: أَي ومكانهم ومقرهم الذي يأْوون إِليه وينزلون فيه جهنم. {الْمَصِيرُ}: المآل والمرجع [١].

المعنى الإجمالي للآية:

يخاطب الحق جل في علاه نبيه صلى الله عليه وسلم آمرًا إياه بجهاد الكفار الصرحاء الذين يجهرون بالكفر بالسيف والسلاح، ويجاهد المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام بالحجة والبرهان ويأمره أن يكون شديدًا عليهم في جهاده لهم وهذا جزاؤهم في الدنيا وفي الآخرة لهم جهنم خالدين فيها أبدًا، وبئس القرار والمآل [٢].

وهذه الآية أيضًا مما تمسك به اعداء الإسلام في طعنهم فيه، والحق أنها ليست كذلك، فهي تتحدث عن طائفتين: اليهود الذين يقيمون مع المسلمين في المدينة والمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وكلاهما لا يفتأ يكيد للإسلام وأهله ويتحين الفرص للقضاء عليه، فهم البادئون وليس المسلمون، فكان ذلك الأمر جزاء وفاقًا على سوء صنيعهم، يقول الشيخ رشيد رضا: " ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم أي: ابذل جهدك في مقاومة الفريقين الذين يعيشون مع المؤمنين بمثل ما يبذلون من جهدهم في عداوتك، وعاملهم بالغلظة والشدة الموافقة لسوء حالهم، وقدم ذكر الكفار في جهاد الدنيا ; لأنهم المستحقون له بإظهارهم لعداوتهم له - صلى الله عليه وسلم - ولما جاء به، والمنافقون يخفون كفرهم وعداءهم ويظهرون الإسلام فيعاملون معاملة المسلمين في

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٧٣٣.
(٢) يُنظر تفسير القرطبي ج٨ صـ ٢٠٤، ٢٠٥، وتفسير البيضاوي ج٣ صـ ٨٩، وتفسير المراغي ج١٠ صـ ١٦٣،١٦٤، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٧٣٣، ١٧٣٤.

الدنيا، وقدم ذكر المنافقين في جزاء الآخرة ; لأن كفرهم أشد، وعذرهم فيه أضعف " [١].

ويقول الشيخ المراغي: " (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) أي ابذل أيها النبي جهدك فى مقاومة هاتين الطائفتين اللتين تعيشان بين ظهرانيك بمثل ما يبذلان من جهد فى عداوتك، وعاملهما بالغلظة والشدة التي توافق سوء حالهما. وقد اتفق الأئمة على أن المنافقين يعاملون بأحكام الشريعة كالمسلمين الصادقين، فلا يقاتلون إلا إذا ارتدوا أو بغوا على جماعة المسلمين بالقوة أو امتنعوا من إقامة شعائر الإسلام وأركانه. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين باللسان: أي بالحجة والبرهان. وكان كفار اليهود يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم حتى بتحريف السلام عليه بقولهم (السام عليكم) ، والسام الموت فيقول: (وعليكم) ثم تكرر نقضهم للعهد حتى كان من أمرهم ما تقدم ذكره، وكان يعامل المنافقين باللطف واللين بناء على حكم الإسلام الظاهر، فجرّأهم هذا على أذاه بنحو قولهم (هُوَ أُذُنٌ) فأمره الله فى هذه الآية بالغلظة على الفريقين فى جهاده التأديبى لهم، لأن أمثالهم لا علاج له إلا هذا" [٢].

والدليل على ذلك ما جاء بعدها، فقد عدد الله تعالى في الآية بعدها بعض جرائمهم، قال تعالى ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤ ﴾ (التوبة: ٧٤).

(١) تفسير المنار ج١٠ صـ ٤٧٣.
(٢) تفسير المراغي ج١٠ صـ ١٦٣، ١٦٤.

المبحث الرابع: آية خاصة بقتال البُغاة من المسلمين.

وردت آية في القرآن الكريم خاصة بقتال البغاة من المسلمين، **قال تعالى** ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ (الحجرات:٩).

سبب نزول الآية:

ما أخرجه الإمام البخاري: "أَنَّ أَنَسًا رضي الله عنه قال قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لو أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بن أُبَيٍّ فَانْطَلَقَ إليه النبي ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ معه وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ فلما أَتَاهُ النبي ﷺ قال إِلَيْكَ عَنِّي والله لقد آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ فقال رَجُلٌ من الْأَنْصَارِ منهم والله لَحِمَارُ رسول اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ من قَوْمِهِ فَشَتَمَهُ فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالْأَيْدِي وَالنِّعَالِ فَبَلَغَنَا أنها أُنْزِلَتْ ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾[(١)].

معاني المفردات:

(طَائِفَتَانِ): جماعتان.

(فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا): فإن تعدت وظلمت.

(حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ): حتى ترجع إلى أمره.

(وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الإقساط: العدل أي: واعدلوا في الإصلاح بين الطائفتين إن الله يحب العادلين [(٢)].

(١) صحيح البخاري – كتاب الصلح – باب ما جاء في الإصلاح بين الناس – حديث رقم (٢٥٤٥) ج٢ صـ ٩٥٨.

(٢) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٩ صـ ١٠٣٦، ١٠٣٧.

المعنى الإجمالي للآية:

الخطاب في الآية لأولي الأمر من المسلمين، يأمرهم الحق عز وجل إذا حدث بين طائفتين من المؤمنين قتال أن يتدخلوا بينهما بالإصلاح عن طريق بذل النصح وإزالة أسباب الخلاف، ثم بين حكمه في حال اعتداء إحداهما على الأخرى ورفض الصلح بوجوب قتالها حتى ترجع إلى حكم الله عز وجل وأمره وتقبل الصلح، وتُختم الآيات بضرورة مراعاة العدل والقسط في الحكم بين المتنازعين فالله تعالى يحب العادلين المقسطين [١].

□

(١) يُنظر التسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي الكلبي ج٢ صـ ٢٩٦، ٢٩٧، وتفسير أبي السعود ج٨ صـ ١٢٠، وتفسير المراغي ج٢٦ صـ ١٣٠، ١٣١، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج١٣ صـ ٣٠٨، ٣٠٩.

المبحث الخامس: أحاديث ذُكر فيها القتال

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث ذُكر فيها القتال والجهاد، منها:

١ – ما أخرجه الإمام البخاري عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ يوم افْتَتَحَ مَكَّةَ لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وإذا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا [١].

٢ – ما أخرجه الإمام ابن حبان عن أَنَسٍ أَنَّ النبي ﷺ قال جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ" [٢].

ويُلاحظ أن هذين الحديثين ورد فيهما الجهاد بصيغة العموم فلم يُحدد فيهما إن كان دفاعًا أو لا وإن كان خاصًا بأُناس بعينها أو لا، ولم يخصص بالسيف فقط بل تعداه لغيره من أنواع الجهاد الأخرى.

٣ – ما أخرجه الإمام البخاري عن أَبَي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال رسول اللَّهِ ﷺ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إلا الله فَمَنْ قال

---

(١) صحيح البخاري – كناب – باب – جزء من حديث رقم (١٧٣٧) ج٢ صـ ٦٥١.
وأخرجه الإمام مسلم أيضًا في صحيحه – كتاب – باب جزء من حديث رقم (١٣٥٣) ج٢ صـ٩٨٧.

(٢) صحيح ابن حبان – باب فرض الجهاد – ذكر الأمر بالحث على الجهاد وقتل أعداء الله الكفرة – حديث رقم (٤٧٠٨) ج١١ صـ ٦.
والحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه – أول كتاب الجهاد – باب كراهية ترك الغزو – حديث رقم (٢٥٠٤) ج٣ صـ ١٠.
والإمام النسائي في سننه – كتاب الجهاد – باب وجوب الجهاد – حديث رقم (٣٠٩٦) ج٦ صـ ٧، وفي السنن الكبرى – كتاب – باب – حديث رقم (٤٣٠٤) ج٣ صـ ٦.
والإمام البيهقي في سننه الكبرى – كتاب السير – باب أصل فرض الجهاد – حديث رقم (١٧٥٧٦) ج٩ صـ ٢٠.
والحاكم في المستدرك – كتاب الجهاد – حديث رقم (٢٤٢٧) ج٢ صـ ٩١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبي: على شرط مسلم.
والإمام أبو يعلى في مسنده – حميد الطويل عن أنس بن مالك – حديث رقم (٣٨٧٥) ج٦ صـ ٤٦٨.

لَا إِلَهَ إلا الله فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ على اللَّهِ " [١].

وهذا الحديث مما تمسك به أعداء الإسلام في طعنهم فيه، وقد ورد فيه الأمر بقتال الناس، ولفظ الناس عام، لكن في بعض الأحيان يراد به أُناس مخصوصة، كما في قول الله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ ﴾ (آل عمران: ١٧٣)، فالمراد بالناس الأولى نعيم بن مسعود الأشجعي وبالثانية أبو سفيان ومن معه [٢].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه في هذا الحديث يراد به أُناس مخصوصة، وهم مشركو قريش [٣].

ولا يخفى على كل ذي لُبّ ما فعلته قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من اضطهاد وإيذاء، فهم البادئون بالقتال والإيذاء، فكان ذلك الأمر عقوبة لهم على سوء صنيعهم، وردًأ لظلمهم وطغيانهم، وهو ما صرح الله تعالى به في آيات أخرى، كما مر سابقًا، ويؤيد ذلك أن لفظ أقاتل يدل على المفاعلة وهي لا تكون إلا من طرفين فالمقصود قتال من يقاتلنا ويؤذينا ويظلمنا.

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير – باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه وما كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر والدعوة قبل القتال – حديث رقم (٢٧٨٦) ج٣ صـ ١٠٧٧.
وصحيح مسلم – كتابالإيمان – باب بَاب الْأَمْرِ بِقِتَالِ الناس حتى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إلا الله مُحَمَّدٌ رسول اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَيُؤْمِنُوا بِجَمِيعِ ما جاء بِهِ النبي صلى الله عليه وسلم – حديث رقم (٢١) ج١ صـ ٥٢.
(٢) يُنظر تفسير السمرقندي ج١ صـ ٢٦٥، والتفسير الوسيط للإمام الواحدي ج١ صـ ٥٢٢، والتفسير الوسيط للإمام الاكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٢ صـ ٣٤٢.
(٣) يُنظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج١ صـ ٧٧.

وعلى فرض أن كلمة الناس عامة فهي محمولة أيضًا على من يسلكون سبيل مشركي قريش من الإيذاء والظلم للمسلمين؛ بدليل كلمة أقاتل الدالة على المفاعلة، وهي لا تتصور إلا من طرفين.

المبحث السادس : استنتاج واستنباط مما سبق

بعد عرض بعض الآيات التي ذُكر فيها القتال وتفسيرها تفسيرًا مجملًا وكذا بعض الأحاديث، يمكن أن أستخلص ما يلي:

أولًا: غالب الآيات القرآنية تتحدث عن الوظيفة الأساسية للقتال في الإسلام، وهي الدفاع عن الدين وحماية الأوطان، وهذا من المتفق عليه بين جميع الدول وكافة الأديان والشرائع.

ثانيًا: بعض الآيات القرآنية أطلقت لفظ القتال أو الجهاد على عمومه، وهذا يُمكن أن يُحمل على المقيد (الدفاع) أو لا، وفي حال عدم حمله على المقيد، وكذا الآيات التي وردت في أُناس مخصوصة يُحمل كلاهما على نوع آخر من أنواع الجهاد غير الدفاع، وهو ما يُطلق عليه العلماء جهاد الطلب، وهو عبارة عن الجهاد من أجل نشر الدعوة الإسلامية وإزالة الحواجز بين الناس وبين التفكر في الإسلام؛ مما يؤدي بهم إلى اعتناقه والدخول فيه طواعية دون إكراه أو عنف، ولمزيد من الإيضاح أُبين أن غير المسلمين ينقسمون إلى قسمين:

١ـ طائفة الملأ، وهم السادة والأشراف محاربوا دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على مر العصور.

٢ـ طائفة المستضعفين، وهم بقية الشعب.

وقد حاربت طائفة الملأ على مر العصور دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكانوا سببًا في صد الناس عنها، قال تعالى في قصة نوح عليه السلام ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الأعراف: ٦٠)، وقال في قصة هود عليه السلام ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٦٦)، وقال في قصة صالح عليه

السلام ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٧٥ – ٧٦)، وقال في قصة شعيب عليه السلام ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الأعراف: ٨٨)، وقال ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الأعراف: ٩٠)، وقال في قصة موسى عليه السلام ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (الأعراف: ١٠٩)، وقال ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٢٧)، ويصور الحق جل وعلا ما سيحدث يوم القيامة بين هاتين الطائفتين (الملأ والمستضعفين) الذين أعرضتا عن ذكر الله فلم تؤمنا لما جاء به الرسل ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟

ٱلْعَذَابَۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ (سبأ: ٣١ – ٣٣).

فالإسلام جاء بقتال طائفة الملأ التي تصد الناس عن دين الله تعالى بقوتها وجبروتها وجاء لإزالة كل ما يعوق الدعوة إلى الله تعالى، ولو كان الأمر مفتوحًا أمام الدعوة ما احتاج إلى القتال، وليس أدل على ذلك مما تناولته في الفصل الأول من مواقف تدل على سلوك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الطريق رغم حجم المخاطرة الشديد وما أدى إليه من خسائر.

ثالثًا: أن الإسلام كما شرع القتال لرد الاعتداء الخارجي ولفتح المجال أمام الدعوة إلى الله عز وجل شرعه أيضًا للإصلاح بين المسلمين في حال تعدي إحدى الطائفتين المتخاصمتين على الأخرى حتى ترجع إلى حكم الله تعالى.

الخاتمة

بعد أن عرضت بعض الشبهات المتعلقة بالآيات التي ذُكر فيها القتال وهي أن الإسلام انتشر بحد السيف، وأنه دين يدعو للعنف والإرهاب، وقمت بالرد عليها، أستطيع القول إن أهم النتائج التي توصلت لها ما يلي:

أولًا: إن التعصب ضد الإسلام والرغبة في صد الناس عنه هي الدافع الأساسي لإثارة مثل هذه الشبهات.

ثانيًا: كما يوجد علماء من غير المسلمين متعصبون يتجنون على الإسلام يوجد كذلك علماء منصفون يقرون بالحق ويشهدون شهادة العدل والإنصاف.

ثالثًا: كل ما أورده اعداء الإسلام من شبهات حول هذا الموضوع لا يثبت أمام النظر والتمحيص، ويكذبه القرآن والسنة والتاريخ والواقع.

رابعًا: الجهاد في الإسلام قسمين قسم دفاعي لحماية الدين والدفاع عن الأوطان، وهذا من المجمع عليه بين كافة الشعوب والدول، وقسم لإزالة العوائق أمام الدعوة إلى الله تعالى وتيسير السبل لسماع الناس ما جاء عن الله تعالى حتى يختاروا ما يريدون وحتى تُقام عليهم الحجة.

خامسًا: أن أغلب الشبه توجه للقسم الثاني (الجهاد لإزالة العوائق أمام الدعوة إلى الله تعالى) ظنًا منهم أن في ذلك إجبارًا على الدخول في الإسلام وشتان بين هذا وذاك.

سادسًا: أن الإسلام دين يدعو للفكر والنظر ولا يدعو إلى العنف والإجبار بأي حال من الأحوال.

أما أهم الاقتراحات فهي:

أولًا: إنشاء مؤسسات رسمية تابعة للأزهر الشريف، تكون مهمتها الرد على ما يُثار من شبهات.

ثانيًا: توعية المسلمين بخطورة الشبهات التي تُثار حول الإسلام، وتوجيههم إلى ردها إلى الراسخين في العلم، وعدم الاغترار بها.

ثالثًا: إتاحة الفرصة للرد على الشبهات في وسائل الإعلام المختلفة.

رابعًا: نشر سماحة الإسلام بشتى الطرق المتنوعة، ومواجهة الفكر المنحرف.

المصادر والمراجع

١ ـ **أ سباب الـ نزول**، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١ هـ.

٢ ـ **الإسلام في قفص الاتهام**، لشوقي أبو خليل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق، ط: الخامسة، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.

٣ ـ **الإسلام والحضارة الإنسانية**، للأستاذ/ عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة، ط: الثانية، ٢٠٠٦م.

٤ ـ **الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا**، للدكتور/ محمود قمر.

٥ ـ **انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء**، للدكتور/ نبيل لوقا بباوي.

٦ ـ **انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء**، للأستاذ/ عبد الله سالم بازينة، منشورات جامعة ٧ أكتوبر – دار الكتب الوطنية، بنغازي – ليبيا، ط: الأولى.

٧ ـ **انتشار الإسلام في شرق إفريقية ومناهضة الغرب له**، للدكتور/ محمد عبد الله النقيرة، دار المريخ – الرياض، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.

٨ ـ **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، للإمام قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (المتوفى: ٩٧٨هـ)، تح: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٩ ـ **البحر المحيط في التفسير**، للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١٠ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**، للإمام أبي الفيض محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

١١ ـ **تاريخ أهل الذمة في العراق**، لتوفيق سلطان، دار العلوم – الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٣ هـ.

١٢ ـ **تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية**، ليوليوس فلهاوزن، ترجمة د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة – حسين مؤنس، التربية والتعليم بمصر بإشراف وزارة الثقافة.

١٣ ـ **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، للدكتور/ عمر فرّوخ – الدكتور/ مصطفى الخالدي، المكتبة العصرية – بيروت، ط: الثالثة، ١٩٦٤م.

١٤ ـ **التحرير والتنوير**، للإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٥ ـ **التسهيل لعلوم التنزيل**، للإمام أبي القاسم، محمد بن أحمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

١٦ ـ **التعريفات**، للإمام علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

١٧ ـ **التعريفات الفقهية**، للشيخ/ محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٨ ـ **تفسير الآلوسي** (**روح المعاني**)، للإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٩ ـ **تفسير البغوي** (**معالم التنزيل في تفسير القرآن**)، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٢٠ ـ **تفسير البيضاوي** (**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**)، للإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٢١ ـ **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، للشيخ محمد الأمين ابن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٢٢ ـ **تفسير الزمخشري** (**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**)، للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٣ ـ **تفسير أبي السعود** (**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**)، للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٤ ـ **تفسير السمرقندي** (**بحر العلوم**)، للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السمرقندي (المتوفى ٣٧٣ هـ).

٢٥ ـ **تفسير الشعراوي** (**الخواطر**)، للإمام محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٢٦ ـ **تفسير الشوكاني** (**فتح القدير**)، للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٢٧ ـ **تفسير الطبري** (**جامع البيان في تأويل القرآن**)، للإمام أبي جعفر محمد ابن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٨ ـ **تفسير ابن عطية** (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**)، للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٢٩ ـ **تفسير ابن كثير** (**تفسير القرآن العظيم**)، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.

٣٠ ـ **تفسير القرطبي** (**الجامع لأحكام القرآن**)، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٣١ ـ **تفسير الماوردي** (**النكت والعيون**)، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٢ ـ **تفسير المراغي**، للشيخ/ أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

٣٣ ـ **تفسير المنار** (**تفسير القرآن الحكيم**)، للشيخ محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى:١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٣٤ ـ **التفسير المنير**، للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: الثانية ، ١٤١٨ هـ.

٣٥ ـ **تفسير النسفي** (**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**)، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٣٦ ـ **تفسير النيسابوري** (**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**)، للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

٣٧ ـ **التفسير الوسيط** (**الوسيط في تفسير القرآن المجيد**)، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، والدكتور/ أحمد محمد صيرة، والدكتور/ أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور/ عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣٨ ـ **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

٣٩ ـ **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي (المتوفى: ١٤٣١هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٤٠ ـ **التوقيف على مهمات التعاريف**، للإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

٤١ ـ **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، للإمام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبي يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، تح: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١.

٤٢ ـ **حضارة العرب**، **لجوستاف لوبون**، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة.

٤٣ ـ **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، لتوماس أرنولد، ترجمه للعربية وعلق عليه: د/ حسن إبراهيم حسن – د/ عبد المجيد عابدين – د/ إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ١٩٧١م.

٤٤ ـ **دفاع عن الإسلام**، للورافيشيا.

٤٥ ـ **الرحيق المختوم**، للشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، ط: الأولى.

٤٦ ـ **سنن البيهقي الكبرى**، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (المتوفى: ٤٥٨)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

٤٧ـ **سنن أبي داود**، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (المتوفى: ٢٧٥ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٤٨ ـ **السنن الكبرى**، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى: ٣٠٣ هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٤٩ ـ **سنن النسائي** (**المجتبى**)، للإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تح: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة : الثانية ، – ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م.

٥٠ ـ **السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية**، لفان فلوتن، ترجمة: حسن إبراهيم – محمد زكي إبراهيم.

٥١ـ **السيرة النبوية**، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٦م.

٥٢ ـ **السيرة النبوية**، للشيخ أبي الحسن الندوي، دار ابن كثير – دمشق، ط: الثانية عشرة، ١٤٢٥هـ.

٥٣ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٥٤ ـ **صحيح البخاري**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، واليمامة – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٥٥ ـ **صحيح ابن حبان**، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (المتوفى: ٣٥٤ هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية.

٥٦ ـ **صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث– بيروت.

٥٧ ـ **فتح القدير**، للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٥٨ ـ **فقه السيرة**، للشيخ محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ)، دار القلم – دمشق، ط: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

٥٩ ـ **القاموس المحيط**، للإمام أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: التراث بمؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٦٠ ـ **قصة الحضارة**، لول وايريل ديورانت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.

٦١ ـ **لا سكوت بعد اليوم**، لبول فندلي، شركة المطبوعات – بيروت، ط: الثانية، ٢٠٠١م.

٦٢ ـ **لسان العرب**، للإمام أبي الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٦٣ ـ **المستشرقون والإسلام**، للدكتور/ زكريا هاشم، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ضمن منشورات لجنة التعريف بالإسلام – القاهرة، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.

٦٤ ـ **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ–١٩٩٠م.

٦٥ ـ **المسند**، للإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٦٦ ـ **مسند أبى يعلى**، للإمام أبي يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

٦٧ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث – القاهرة، ١٣٦٤ هـ.

٦٨ ـ **معجم مقاييس اللغة**، للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

□